محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

ت

فريغ سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد أن لاإله إلاّ الله وحده لاشريك له شعار ودثار ولواء أهل التقوى ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى سائر من اقتفى أثره واتبع منهجه بإحسانٍ إلى يوم الدين أما بعد ....
ففي هذا اللقاء المبارك نستفتح سورة (طه) ، وسورة (طه) من العِتاق الأوَل مثل قرينتها سورة (الكهف) التي قد انتهينا منها في اللقاء الماضي ، على أن سورة (طه) أنزلت بعد سورة (مريم) وهي كذلك في ترتيب المصحف بعد (مريم) ، ولكن الذي جعلنا نبدأ بسورة (طه) أن لنا تفسير لسورة (مريم) موجود بين الناس متداول ، فأحببنا أن نبدأ بما لم نشرع به ، فلنا وقفات مع سورة (مريم) لذلك بدأنا بسورة (طه) وسنعود ـ إن شاء الله ـ إلى سورة (مريم) لكن ننبه أنه من حيث النزول أن (طه) بعد (مريم) وكِلاهما سورة مكيِّة إلاّ آيتين من سورة (طه) اختلف فيهما وهما الآيتين (130) و(131) ....
نبدأ مستعينين بالله ـ جلّ وعلا ـ سورة (طه) استفتحها العلي الكبير بقوله : { طه ، ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى } ومن أكثر أحرف القرآن المتقطعة في أوائل المصحف إشكالاً هذان الحرفان (طه) ذلك أن العلماء من حيث الجملة انقسموا إلى قسمين في فهم هذا الأمر :
***منهم من قال : إن (طه) هي من جنس الحروف المتقطعة ، ومما يعينهم على هذا الفهم أن الحرفين (الطاء ، والهاء) من نفس الأحرف التي جاء بها افتتاح القرآن (طسم ،كهيعص ....) فـ (الهاء ، والطاء) وجدتا من قبل في فواتح القرآن .. فهذا منحى ، وهو يجري عليه أحكام رأيِّنا في قضيّة فواتح القرآن ـ الأحرف المتقطِّعة ـ وهذا فصّلنا فيه في افتتاح سورة (ن) ولاحاجة لإعادته ...**
*** الحالة الثانية أن بعضهم قال : أن طه ليست من الأحرف المتقطِّعة ،**

وهؤلآء اختلفوا فيما بينهم في ما لمقصود بكلمة (طه) :
*** بعضهم قال إنها فعل أمر (طأ) بمعنى(ضع) من (وطِأ) ، وهؤلاء يقولون أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان إذا قام الليل يقوم على قدمٍ ويرفع أُخرى فجاء القرآن تسلية وتعزية له ...**
*** والفريق الآخر قال : أن (طه) كلمة معناها (يارجل) وحرف النداء محذوف ...**
*** وقال فريق من العلماء : إنها اسم للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكنت إلى عامين أو عامٍ تقريباً أذهب إلى أنها من الحروف المتقطّعة ، لكن الذي يبدو أن القولَ بأنها اسم للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقوى .. ووجه القوة مما يأتي : تدبُّر القرآن ـ لولا آية الشورى لجزمت ، لكن آية الشورى هي التي أوقفتني ـ تدبُّر القرآن ـ وهذه طريقة في فهم القرآن ـ .. فالله تعالى يقول { الم ، ذلك الكتاب .....} { الم ، الله لاإله إلاّ هو الحي القيّوم } { طسم ، تلك آيات الكتاب المبين }.... إلى غير ذلك من آيات القرآن ، فلا يكون بعد الحروف المتقطّعة مخاطبة مباشرة للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اللهم إلاّ في الشورى { حم ، عسق ، كذلك يوحي إليك وإلى اللذين من قبلك ...} وهذه هي التي أوقفتني ، وأمّا هنا فهناك مايشعر أن (طه) اسم للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ الخطاب يقول : { طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى } ...**
أمّا من قال من الأفاضل من العلماء أن معناها (يارجل) فنعم ورد في شعر العرب في شعر متمم وغيره أن (طه) بمعنى (رجل) لكننا نستبعدها لأن ليس لها نظائر والمعنى بأننا نقول : إذا اتفقت الأمّة على أن الله ـ جلّ وعلا ـ إكراماً لنبيه لم يخاطبه باسمه فلم يقل له في القرآن (يا محمد) فكيف يعقل بأن يناديه (يارجل) ؟! هذا بعيد ، فكل الذي في القرآن (ياأيها النبي ...) و (ياأيها الرسول ...) فلا يمكن أن ينتقل من هذه الفوقية حتى ينادى (يارجل) وهذا بعيد وإن كانت اللغة تحتمله ، لكننا نقول إن القول إن (طه) كاسم للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير بعيد نميل إليه ميلاً كثيراً ، وهذا مستخدم حتى في الشعر العربي ، والذي ينبغي عليك أن تعقد عليه أن تعلم أنه لو قُدِّر أنّك ارتأيت ـ كما ذهب بعض مشائخنا ـ إلى أن (طه) من الحروف المتقطّعة لكن لايُنكر على من ذهب أن (طه) اسم للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وقد مر معكم ـ فيما يبدو لي أن سماحة الوالد الشيخ ابن باز، والشيخ العلاّمة ابن عثيمين ـ رحمة الله تعالى عليهما ـ أنشد بين أيديهما قصيدة للتويجري كان مطلعها :
دم المصلين في المحراب ينهمر ..... وفي القصيدة كان مذكورا مانصّه :

إذا تطاول بالإهرام منهزم
فإن أهرامنا سلمان أو عمر
أهرامنا شادها طه دعائمها
وحي من الله لاطين ولاحجر
فالشيخان كبَّرا حينما سمعا هذين البيتين ، ولم ينكرا كلمة (طه) مع أن الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ كان يرى أن (طه) ليست اسماً للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، لكن الآية كما قلنا قابلة للأخذ والعطاء ، وليست مجال إنكار ، والبيتان اللذان ذكرناهما من جميل الشعر الإسلامي المعاصر ... نعود فنقول إننا نختار أن (طه) اسم للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ...
{ ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى } (ما) نافية قطعاً ، و (أنزلنا) أخبر الله أن القرآن منزل من عنده ـ وهذا مرّ معنا وفصّلنا القول فيه وأنواع التنزيل ـ ونذكّر بأن الله لايقول أن شيئاً أنزل من عنده إلاّ القرآن ، وإلاّ

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي
يُبهم أو يسنده إلى غيره .. { فأنزلنا على اللذين ظلموا رجزاً من السماء } ولم ينسبه إلى نفسه ،{ وأنزلنا من السماء ماء طهوراً } ولم يقل من عنده ، وأما الذي ينسبه الله إلى ذاته العليّة لايكون إلاّ في القرآن { تنزيل العزيز الرحيم } .. إلى غيرها من الآيات الشهيرة ، نعود فنقول:
الله يقول لنبيه : { ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى } أولاً: مالشقاء ؟ الشقاء العناء والتعب ، وإنّما مقصود الآية أن هذا القرآن أنزلناه رحمةً بك وبه ترحم الناس ، وليس المقصود من إنزاله أن يصيبك شقاء وعناء وتعب من كثرت محاورتك لقومك ، وكثرت تأسُفك على حالهم فإنّك لست مكلّفاً بأكثر من أن تدعوهم إلى الدين , وهذا المعنى يؤيده القرآن كله { لست عليهم بمسيطر } { فلعلّك باخع نفسك على آثارهم }{ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات } فكل القرآن يؤيد هذا المعنى في أن الله ماأنزل هذا القرآن على نبيه حتى يصيبه من الكبد والعناء والشقاء بسبب جحود قومه له ...
{ إلاّ } استثناء منقطع { تذكرة لمن يخشى } فالقرآن تذكرة ، لكن هذه التذكرة لايفرح بها ولاينالها كل أحدٍ ، وإنّما ينالها أهل من ؟ أهل الخشية ، ومن يخشى يدخل فيها جميع من خشي الله وفي مقدمتهم ، بل في ذروتهم نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ..
{ تنزيلاً } أي هذا القرآن ، مفعول به مطلق لفعل محذوف أي : نزلناه تنزيلاً
{ تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى } الله ـ جلّ جلاله ـ ، وقدّم الأرض هنا على السموات لأنها ألصق بحياة الناس ، وهي أولى الآيات المحسوسة بالنسبة لهم ..
وخلق السموات والأرض من أعظم الآيات الدالة على عظمة الله قررته أكثر من آية في كلام الله ..
{ الرحمن على العرش استوى } أي : من خلق الأرض والسموات العلى هو الرحمن ، وهي خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هو الرحمن على العرش استوى ، والرحمن : اسم من أسماء الله الحسنى ، بل من أعظم أسمائه الحسنى ، فالرحيم يجوز تنكيرها وينادى بها غير الله .. يقال : فلان رحيم لغيره , لكن لايقال : فلان رحمن لغيره , فهذا من الاسماء المختصّة بالله ـ جلّ وعلا ـ ..
{ العرش } سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، الدليل على أنّه ذو قوائم : قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : { فأكون أوّل من تنشق عنه الأرض ، فإذا بموسى آخذٌ بقوائم العرش } فهذا نص صريح على أن العرش له قوائم .. ، أمّا في حمل الملائكة للعرش فآية الحاقة قال الله ـ جلّ وعلا ـ:{ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية } وقال الله في غافر : { الذين يحملون العرش ومن حوله } فأثبت الله أن هناك ملائكة تحمل العرش .. { استوى } استواءً يليق بجلاله وعظمته، وهذه أحد ست آيات أخبر الله ـ جلّ وعلا ـ فيها أنّه مستوٍ على عرشه ، ولاينبغي العدول أبداً عن قول أهل السنة (أن الاستواء معلوم والكيف مجهول) لأن ذكر الله للاستواء في أكثر من موضع يصل إلى ست ولايتغيّر اللفظ دليل على أن اللفظ مقصود لايقوم مقامه غيره كما ذهب بعضهم أنه بمعنى استولى ـ وهذا باطل ـ وإنما أخبر الله ـ سبحانه ـ أنه مستوٍ على
عرشه ، ونحن نقول : نؤمن بكلام الله على مراد الله ، ونؤمن بكلام رسول الله على مراد رسول الله ـ وكان الشافعي يردد هذا كثيراً ـ آمنت بالله وماجاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله و ماجاء عن رسول الله على مراد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ...
{ له } ملك ،{ مافي السماوات ومافي الأرض ومابينهما وماتحت الثرى } كم أملاك؟ أربعة : السماوات ، والأرض ، وما بينهما ، وما تحت

الثرى .. واختلف في معنى وما تحت الثرى .. ولعله يدخل فيها من حيث الاستئناس المعادن التي في الأرض ، وكنوز الأرض المدفونة الغير ظاهرة ..، ومابين السماء والأرض الأشياء الظاهرة , وينبغي أن تعلم أن الله ملك الأملاك , ورب الأفلاك , وأنه ـ جلّ وعلا ـ متصرف في هذه الأربعة تصرفاً تاماً , فهو الذي أوجدها ، وهو الذي يملكها , وهو الذي يفنيها , وهو الذي يحيي من شاء منها , وهذا كله ملك تام لانقص فيه من أي وجه من الوجوه ... {و ما تحت الثرى } (ما) هنا موصولة والمعنى والذي تحت الثرى , وليست نافية ...... ـ ومن باب الفوائد ـ (ما) الموصولة لايجوز الابتداء بها فمن أخطاء القُرَّاء مثلاً آية { قولوا آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون } لايجوز أن تقرأها ثم تقول : { وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم } فلا تبدأ بـــ { وما أوتي موسى وعيسى ...} لماذا ؟ لأنه يصبح المعنى (ما) ماذا ؟ نافية , فما الموصولة لايُبدأ بها .. , إنما تعود فتقول { إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب .....} ....

*فهنا لو أن إنساناً إنقطع نفَسَهُ فلايقول لوحدها { وما تحت الثرى } كأنه ينفي , لأنها موصولة فلا يبدأ بها , لأن واو العطف لاتعتبر شيء , وهذا يحترزه من كان منكم إماماً ..

نعود فنقول : ثم قال الله : { وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى } يقول بعض المفسرين : إن المعنى أن الله يقول لنبيه لاحاجة للجهر فإن الله يعلم السر وأخفى ـ وأظنه بعيد ـ على جلالة من قاله ، وإنما المعنى إخبار النبي بعظيم علم الله , أو أن يقال أن الخطاب لقارىء القرآن وليس النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقصوداً به إلاّ في المقام الأول باعتبار أن القرآن أنزل عليه , ومعنى { وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى } أن القول ينقسم إلى ثلاثة أقسام : * جهر * وهو ماتعلنه, تقوله علانية فيسمعه من ترغب ومن لا ترغب .. , * السر * ماتعلنه لكن تسمعه من ترغب , فلو أني استدعيت أحدكم وأجلسته بجواري فأسمعته فأنا أجهرت له بالقول حتى يسمعه لكن لايسمى جهر يسمى سر لأنني أردت به شخصاً بعينه .. , مالذي أخفى من السر ؟ الشيء الذي في قلبك وفي نفسك ولم تخبر به أحداً , فهذا الذي قصده الله بقوله

{ وأخفى } أي ماهو أخفى من السر مالم تخص به أحداً بعينه , وهذه مراتب القول والمقصود منها عظيم علم الرب ـ جلّ وعلا ـ ...

{ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى } من هذا الذي يعلم السر وأخفى ؟

{ الله لاإله إلاّهو له الأسمــاء الحسنى } وقد مر معنا أن لفظ الجلالة (الله) لم يتسمى به أحد وهو معنى قوله ـ جلّ وعلا ـ : { هل تعلم له سمياً } .. { له الأسمــاء الحسنى } فالله ـ جلّ وعلا ـ له أسماء حسنى وصفات عُليا ، وجملة مايمكن أن تفقهه أيها الأخ المبارك أن تعلم أن الله ـ جلّ وعلا ـ وجهه أكرم الوجوه , وأسمائه أحسن الأسماء , وعطيته أحسن العطايا فتوسَّل إلى ربك بهذه الثلاث قل : (اللهم ياذ الوجه الأكرم ، والاسم الأعظم ، والعطية الجزلاء ..... ثم سل الله ماشئت)

{ له الأسمــاء الحسنى } هذه الاسماء ذكر منها تسعة وتسعون على اختلاف العلماء في تحديدها , وبعض أهل التحقيق من أهل العلم يقول إنها أكثر من تسعة وتسعين , وحجَّتهم ماجاء في الخبر الصحيح (كل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ...) فقالوا إن لله أسماء استأثر بها

في علم الغيب غير التسعة والتسعين التي أظهرها وبسطها لخلقه ...
•وهذا كل ماسلف بيان لعظمة الجبّار ـ جلّ وعلا ـ وإظهار لبعض صفاته , وأن له كمال الأسماء وأجمل الصفات , وأنه أحق من عبد , وأجلّ من شُكر وأرأف من ملك , وأوسع من أعطى ..., ثم بعد أن قرر الله ـ جلّ وعلا ـ هذا لنبيه ذكر له قصة الكليم (موسى بن عمران) ـ عليه الصلاة والسلام ـ , و(موسى بن عمران) من أُلي العزم من الرسل الذين تكررت قصصهم في القرآن في مواطن شتى ـ سيأتي تفصيلها ـ .. لكننا هنا سنقف عند مانحن معنيِّون به .. , قال الله ـ جلّ وعلا ـ لنبيه : { وهل أتاك حديث موسى } و(هل) حرف استفهام المقصود به هنا التشويق , حتى تكون أذن السامع متلهفة لإرعاء السمع , و(موسى) هو موسى بن عمران .. { إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى } هذا متى ؟ هذا بعد عودة موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أرض مدين , فموسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ خرج إلى أرض مدين ـ التي هي البدع الآن شمال الجزيرة العربية شمال المملكة ـ بعد أن فرَّ بسبب قتله للرجل القبطي , مكث في أرض مدين ـ كما سيأتي تفصيله في مواضع ـ عشر سنين , بعد أن جلس في مدين عشر سنين أخبر العبد الصالح ـ صهره (أبو زوجته) ـ أنَّه يريد أن يرجع ، فأذن له بعد أن أتم له موسى الأجل , خرج من البدع وأصبح خليج العقبة على يمينه ، ثم رجع حتى أصبح خليج العقبة على يساره ، وكان موازياً للبحر ، ثمّ دخل على صحراء سيناء وكان هناك جبل الطور في مكان مانُبِّــأ , وبعد أن نُبِّـأ دخل بعد ذلك واستمر حتى قطع خليج السويس ودخل أرض مصر .. , سنتكلم نحن عن هذه المنطقة وعن الأحداث العظام التي نُبِّــأ فيها موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأرسل في هذا الموطن , فنقول الله ـ جلّ وعلا ـ يقول لنبيه : { وهل أتاك حديث موسى } أي خبر موسى , { إذ رأى ناراً } متى رأى النار ؟ رآها في ليلة باردة مظلمة ومعه زوجته وغنمه { فقال لأهله امكثوا إنّي آنست ناراً } ولم يقل إني رأيت ، لأنه كان يشعر بوحشة وخوف , فلمّا رآها شعر بشيءٍ من الأنس { إنّي آنست ناراً } , واحترازاً من الكذب قال ـ عليه الصلاة والسلام { لعلي آتيكم } ماقال سآتيكم منها , وهذا كله احترازه من الكذب قبل أن يُنبّـأ , حتى تعلم أن الله أعلم حيث يجعل رسالته .. { بقبس } ما لقبس ؟ الجذوة من النار يعني القطيع من النار , القطعة من النار تسمّى جذوة ، والقطعة من الليل تسمّى هزيع , وكل شيءٍ منه قطعة له اسمه في اللغة ... إذا كانت الجذوة من النار هي القطعة من النار إذا كانت ملتصقة بعود ـ لم تكن جمرة لوحدها ـ تسمَّى قبس , إذا أخذنا عود (حطب) من النار فيه النار باقية مشتعلة تسمَّى قبس , وفي نفس الوقت تسمَّى جذوة لأنه قطعة من النار , فإذا أخذناه على هيئة جمر ليس فيه عود كامل يسمَّى جمرة , ولايسمَّى قبس... قال الله في سورة أخرى { شهابٍ قبس } يعني نار مشتعلة , وهذه أمنية موسى الآن , وخوفاً على أهله قال { امكثوا } والعاقل كما تقول العاميِّة : (لايوضع البيض في سلَّة واحدة) فلو كان فيه مهلكة يهلك هو وينجوا أهله { لعلي } احترازا من الكذب , { أو أجد على النار هدى } أي من يهديني ويدلّني على الطريق الذي أضعته ... , أتى موضع النار فرأى ناراً تضطرم في شجرة (عوسج) على الأظهر , فرأى النار تزداد وقوداً والشجر يزداد خضرة وهو مايتنافى في الأصل , لأن النار إذا كانت حارقة لن تُبقي للخضرة , وإذا كانت الخضرة ريِّــانة لن تُبقي على النار لاتجتمعان , لكنه يرى النار تزداد نوراً ويرى الشجر يزداد خضرة .... وجملة نقول أن النار ثلاثة أقسام : * نار لانور فيها وهي حرقة (وهي نار جهنَّم) ـ أعاذنا الله وإيكم منها ـ , * ونار فيها نور وليست بحارقة (وهي النار

التي رآها موسى ـ عليه السلام ـ) , * ونار فيها نور وهي حارقة (وهي نار الدنيا) فأي نار تشعلها لها نور تضيء ماحولها , وفي نفس الوقت تحرق من يضع يده فيها ...
{ فلمَّا أتاها نودي } من الذي ناداه ؟ رب العزة ـ جلّ جلاله ـ وهذا معقل منيف , ومنزل شريف , وعطية قلَّما تعدلها عطية إلاّ أن يرَ العبد ربه , { فلمَّا أتاها نودي ياموسى } وكان في خوف فطمئنه الله ولم يطالبه بالتكليف ,.. فقال له : { إنِّي أنا ربك } ليشعره بالاطمئنان , ووالله إن الإنسان ليسمع رجلاً أقوى منه ـ مديره أو أبوه أو مسؤوله أوأميره أو زعيمه ـ يطمئنه أنه معه فيغشاه شيءٌ من السكينة , فكيف إذا سمع عبد مخلوق في ليلة شاتية مظلمة رب العزة والجلال يناديه { إنِّي أنا ربك } من غير واسطة ؟!
{ فاخلع نعليك } والمقصود من خلع النعلين أمران : * الأول : أن تمس موسى كله بركة الوادي , فلا يصبح هناك فاصل مابين بركة هذا الوادي المقدَّس ومابين جسد موسى . , * والأمر الثاني : أن يشعر موسى بالتواضع , وعظمة الوقوف بين يدي رب العزة والجلال ـ جلّ جلاله ـ في مقام التكليم .. { فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى } وانظر كيف يؤدب الله نبيه ويرعاه يخبره بكل شيء , فأخبره بأنه ربه , أخبره أنه في واد مقدس اسمه طوى , والإنسان إذا كان يجهل الأشياء التي حوله يصيبه الرعب , فأول ماأعطى الله نبيه موسى التعريف التعريف بالأشياء التي حوله { ياموسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى } وهذه شهادة من رب العباد لهذا الوادي بأنه وادٍ مقدس , وقطعاً لو لم يكن وادياً مقدسا لما اختار الله تلك البقعة التي سمَّاها في سورة أخرى بقعة مباركة ليكلم فيها عبده وكليمه وصفيه موسى بن عمران ...
{ طوى } بدل من { الوادي المقدس } يعني أن اسم الوادي (طوى) ....
{ وأنا اخترتك } ولايمكن أن نأتي بألفاظ تساعد أكثر من ألفاظ القرآن في بيان هذا الأمر العظيم في أن الله ينادي عبداً من عباده لامنَّة له على الله ولا فضل , ولا يدري هو لأي شيءٍ غادٍ , كان همُّه جذوة من النار فعاد وهو كليم الواحد القهار يقول له رب العزة في موقف عطاء وبذل كريم : { وأنا اخترتك } اخترتك لعظائم الأمور , للنبوة , للرسالة , لجلائل الطاعات , ولكن الله أعلم حيث يجعل رسالته إذ جعلها في هذا الكليم ـ عليه السلام ـ { وأنا اخترتك } إذ أصبح موسى مرهف السمع لربه , فقال له ربه { فاستمع لما يوحى } موصولة .. أي للذي يوحى , ولكن الله لم يعطه الأوامر والتكاليف إلاّ بعد أن أشعره بالأمان , ورفعه إلى أعلى المنازل , وآواه أيما إيواء , وغرس في قلبه التلقي من رب العزة والجلال , وهي إحدى طرائق الوحي الثلاثة , بل إنها أرفع طرائق الوحي الدنيوية .
{ إنني أنا الله } قلت مراراً هذه الآية من أعظم الأدلة على أن اسم الله الأعظم هو لفظ الجلالة (الله) , ووجه الدلالة أن الله ـ جلّ وعلا ـ لما أراد أن يعرف نفسه لعبده موسى قال له { إنني أنا الله } فاختار الرب ـ جلّ وعلا ـ هذا الاسم دون غيره من الاسماء الدالة عليه ـ جلّ وعلا ـ ليعرِّف به نفسه لكليمه موسى , ولايلزم أن نجزم لكن نقول إشارة قوية وأمر فيه تلميح قوي إلى أن لفظ الجلالة (الله) من أعظم أسماء الله الحسنى إن لم يكن هو اسم الله الأعظم ...
{ لاإله إلاَّ أنا } ومادام قد تحقق لديك ياعبدنا أنه لاإله إلاّ أنا فيجب أن تصرف العبادة لي دون سواي , ولهذا قال الله له : { فاعبدني وأقم الصلاة لذكري } طبعاً لايمكن أن يدعوا موسى الناس لعبادة الله حتى يحقق العبودية في نفسه , فالرسول الذي يحمل هم أمر لابد وأن يكون

مقتنعاً به أولاً , ولايمكن للإنسان أن يحقق هدفا هو غير مقتنع به , وعظائم الأمور , وجلائل الهبات لاتُنال إلاّ إذا انطلق الإنسان من خاصة نفسه , يتصرف في السر كما يتصرف في العلانية , ويؤمن بقضيته أمام الملأ وفي الخلاء , أما إن كانت القضايا بالنسبة له يجلب من ورائها ديناراً أو درهماً فسيكون سيره في تلك القضية ضعيف إن لم تنكشف عورته وتظهر سوأته مابين يوم وآخر , لكن الله وطّن في قلوب أنبيائه محبته وإجلاله ـ جلّ وعلا ـ وعظمته وحبهم وعبادتهم لربهم
{ إنني أنا الله لاإله إلاّ أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري } وفي هذا دلالة ظاهرة على أن الصلاة من أرفع العبادات , اختلفوا في قوله ـ جلّ شأنه ـ : { لذكري } هل هو للتعليل أي لأقامة ذكري ؟ , أو على ذكري ؟ بمعنى في الوقت الذي أمرتك أن تذكرني فيه ؟ وهذا يؤيده حديث صحيح : (من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لاكفارة لها إلاّ ذلك) ثم تلا { وأقم الصلاة لذكري } ...
{ إن الساعة آتية أكاد أُخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى } أخذ الله ـ جلَّ وعلا ـ يبين لموسى قضية الساعة , والساعة هي الأذن بفناء الدنيا { إن الساعة آتية } أي قادمة لامحالة { أكاد أُخفيها } اختلف العلماء في (أكاد) هذه , لكن الأظهر أن يقال أنها على بابها فعل من أفعال المقاربة ـ نحوياً ـ أخ لــ (كان) , والفرق بينها وبين(كان) , تسمعون(كان وأخواتها) , فما دام (كاد) و(أوشك) و(عسى) و (اخلولق) تعمل عمل (كان) لماذا لم يقولوا بأن هذه الأربع تدخل مع (كان وأخواتها) وينتهي النزاع ؟ والسبب أن (كان وأخواتها) خبرها يأتي مفرداً, ويأتي جملة اسمية, ويأتي جملة فعلية , أما (كاد وأوشك وعسى) شرط في خبرها أن يكون جملة فعلية , فانفكت عن (كان) في العمل من هذا الباب ...
{ أكاد } بمعنى قارب وهي على بابها , فيصبح معنى الآية أن الله لم يخفِ الساعة بالكلية , وإنما أظهر أشراطها وعلاماتها , وفي نفس الوقت لايعلم عينها ـ تحديداً ـ إلاّ الله ...
{ لتجزى } أي بعد أتيانها { كل نفس بما تسعى } (كل) من ألفاظ العموم
{ فلا يصدنَّك عنها } والخطاب لمن ؟ لموسى الآن ,{ فلا يصدنَّك عنها }عن أي شيء ؟ قيل إن (عنها) عائد على الصلاة , وقيل أن (عنها) أي عن الإيمان بالساعة ..., والصواب أن يُقال : أن{لا يصدنَّك عنها }أي عن الإيمان بالساعة وما يتعلق بالاستعداد لها ...
{ من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى } فذكر الله صفتين للصادين عن سبيله وهما عدم الإيمان بالله , واتباع الهوى .., { فتردى } بمعنى فتهلك , وأتوقف هنا حتى يستقم التفسير الذي بعده .., والمقصود بالهلاك هنا ماذا ؟ دخول النار وعدم مقاربة الجنة وهو أعظم الهلاك .. هذا ماسنكتفي فيه في سورة (طه) , لكننا سنعرِّج على فوائد عامة عما مضى من الآيات , سنتكلم إجمالاً كيف نستعين به في فهم القرآن :

*** عبَّر الله عن الزوجة هنا في قضية موسى بكلمة (الأهل) وهو أفضل مايعبَّر به عن الزوجة في قضايا الائتلاف , في المحاكم والقضاء وشؤون الحقوق يقال (زوج وزوجة) , بعض الصحابة والصحابيات لمّا سألهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن عائشة في حادثة الإفك ماذا قالوا ؟ قالوا يارسول الله أهلك ولانعلم إلاّ خيراً .. ماقالوا زوجتك , وأنا أعرف بعض من حولنا إذا أراد أن يكتب رمزاً لهاتف جوال زوجته في الجوال يكتب (الأهل) اتباعاً للقرآن , لا يكتب أم فلان ولاعبارات مبالغ فيها , أنا أريد أن أذهب إلى أهلي , سأوصل أهلي , اتصل بي أهلي , فالقضية ليست قضية حساسية مفرطة ممن حولنا , بل القضية في المقام الأول**

محاسن التأويل

الشيخ صالح المغامسي

أن مما يفتح به الله عليك في فهم القرآن أنك تحاول استخدام أسلوب القرآن { فقال لأهله امكثوا إنّي آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس }
قالنا أن العلماء يقولون : أن موسى ـ عليه السلام ـ قال:
{ لعلي } من باب الاحتراز , وهذه أصلاً قضية عامة .. يقولون : أن أهل العقل لايضعون أقدامهم اليُمنى حتى يجدون موطأً لليسرى , ويفكرون في طريق الرجوع قبل أن يفكروا في طريق الذهاب , والعاقل لايقطع الحبال كلها عن نفسه , وإنما يجعل له طريق عودة , وهذا الذي قصده موسى { لعلي آتيكم منها بقبس } , و(لعل) في القرآن على بابها إلاّ في موضع واحد ، فـ (لعل) عند النحويين حرف يفيد الترجِّي ـ للرجاء ـ ويستخدم في الغالب فيما يُرجى وقوعه , ويقولون في (ليت) إنها حرف للتمني وهي قرينتها في العمل إلاّ أن (ليت) فيما لايرجى في الغالب وقوعه ومنه قول الشاعر : ألا ليت الشباب يعود يوماً
فأخبره بما فعل المشيب
والشباب لايعود فعبّر بـ (ليت) , أمّا (لعل) للترجِّي , وهي على بابها إلاّ في موضع واحد في سورة الشعراء قال الله ـ جلّ وعلا ـ : { وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون } فهنا ليست للترجِّي , وإنما بمعنى (كأنكم تخلدون أو كأنما تخلدون) لأن الموت اتفق الناس على أنه لايدفعه شيء , حتى أهل الكفر مؤمنون بالموت , ولذلك لايوجد موطن سكن إلاّ وجواره مقبرة , وهذا في كل مكان في الدنيا , فلم يقل أحد أن تشييد البناء والمبالغة فيه يدفع الموت , لكن بعض الناس يشيد بناءه كأنه لا يموت كأنه مخلد , وهو يعلم أنه غير مخلد وهذا هو معنى الآية : { وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون } ...
* مما يستفاد من القضية هذه أن اللذين حولك أحوج ما يكونون إلى الأمن , والإنسان إذا أعطي الأمن يعطي القدرة على العطاء , أما إذا شعر الإنسان بالخوف فإنه يكون غالباً غير قادر على العطاء قال الله ـ تعالى ـ في حق أهل الكفر : { فأجره } أي أشعره بالأمن { حتى يسمع كلام الله } لأنه لن يستطيع أن يسمع كلام الله ويفقهه عنك وهو خائف وجل , والسيف إذا وضع على رقبة أي إنسان يجعله لا يعقل وأحد الأمراء ـ دون ذكر أسماء ـ من الخلفاء السابقين في عهد بني أمية أتى برجلٍ صالح ومعه زمرة من أصحابه , وكانوا قوماً صالحين , وهذا الزعيم فيهم كان مشهوراً بثبات جأشه وفصاحة لسانه
فقال له الناس في ذلك الموضع تكلم قل , قال : ماذا أقول ؟! سيف مشهور , وكفن منشور , وقبر محفور ... من أين يأتي الكلام ؟ وهو محق أن الخوف والوضع الذي أنا فيه لا يساعد على أن أتكلم , ولهذا أراد الله لهذا العبد الصالح موسى لما أراد الله أن يفيء عليه بعظيم العطايا وجزيل المواهب , ومقام التكليم كما قلت مقام لا يمكن تخيله والله كلم موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مرتين كلمه في هذا الموضع , وكلمه عندما ناداه عند جبل الطور في نفس الموضع , وهذا الجبل ـ جبل الطور ـ كان الجبل عن غرب موسى , وفي نفس الوقت الجانب الأيمن منه قال الله تعالى : { وناديناه من جانب الطور اليمن وقربناه نجيًّا } ,...
وموضع الشاهد : أن الله ـ جلّ وعلا ـ طمأن موسى حتى يعطيه , لكن يقول الناس عموماً ـ كفوائد تأريخية ـ أنه قد يوجد في الناس ـ لكن هذه حالة أفراد شاذة ـ من يكون رابط الجأش حتى عند رؤية السيف ,
فيقولون أن المعتصم أراد أن يقتل رجلاً يقال له جميل , كان له أطفال وصبية صغار , ثم إنه أحضر النطع والجلاّد والسيف والناس ينظرون , ولم يكن ثمَّة شك في أن أمير المؤمنين قرر قتله , فأراد المعتصم أن يختبره ليرى أين لسانه عن جنانه فقال له ماتقول ياجميل ؟ ـ هذا والسيف مشهور , والكفن منشور , والقبر شبه محفور ـ قال :

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا
يلاحظـــني من حيث ما أتلفَّت
وأكـــبر ظنِّي أنك الـــيوم قاتلـــي
وأي امرءٍ مما قضـــى الله يفلت
يعز على الأوس بن تغـلـــب موقف
يسل علي السيف فيـــه وأسكت
وما جــــزعي من أن أموت وإنني
لأعلم أن المـــوت شيء مؤقت
ولكن خـــــــلفي صبية قد تركتهم
وأكبــــادهم من حســـرة تتفتت
كأني أراهـــــــم حين أنعى إليهم
وقد خمَّشوا تلك الوجـوه وصوِّتوا
فإن عشت عاشوا سالمــــين لغبطة
أذود الردى عنــهم وإن مت موِّتوا
فتعجّب المعتصم من رباطة جأشه مع الحال التي هو فيها , وقال تركتك لله ثم لصبيتك وعفى عنه , لكن هذا المقام الذي أقامه جميل بين يدي المعتصم قام مقام فردي يعني قلّما يعطاه أحد , لكن في باب الدعوة وفي باب التربية التأسي بالقرآن هو الأصل , ولما أراد الله أن يُربي هذا النبي المكلم ـ عليه السلام ـ خاطبه بقوله { إنني أنا ربك فاخلع نعليك } وعرَّفه بالمقام { إنك بالوادي المقدس طوى } , ولهذا أحيانا تتلقى مكالمة مجهولة المصدر , فلا يحسن أن تتعامل معها بانفعال ولا بعجلة , وإنما من حقك على من اتصل بك أن تعرف من هو قبل أن تعرف مقامك , وليس من الأدب مايشيع عند بعض الناس أنه إذا اتصل من غير عمد سوء يقول : ماعرفتني , فيضعك للإحراج في أن تصبح يذهب همك في البحث عن شخصيته , وإنما الإنسان إذا اتصل أو طرق باباً وغلب على ظنه أن من أمامه لايسمعه أو لايعلمه أن يُعرِّفه بنفسه , نختم على هذه القضية بشاهد عظيم من السنة ,(فالنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وجبريل أرفع الخلق , فلما استفتحا باب السماء .. جبريل يطرق يقول له الخازن من أنت ؟ يقول أنا جبريل , أومعك أحد ؟ يقول نعم معي محمد) , قال العلماء : فاستئذان جبريل مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رغم أنهما أرفع مقاماً من صاحب المحل ـ خزنة السماء ـ يدل على أن الإنسان يجب عليه أن يستأذن ويُعرِّف بنفسه ولو كان داخلاً على من هو أقل منه , وهذه قضية مهمة جداً في فهم كلام الله ـ جلّ وعلا ـ .. في اللقاء القادم ـ إن شاء الله ـ سنتحدث إلى قول الله ـ جلّ وعلا ـ : { قد أوتيت سؤلك ياموسى } ونتكلم عن قضية العصا , وقضية إدخال اليد في الجيب وماحولهما من آيات , نفعنا الله وإياكم بهدي كتابه , وجعلنا الله ممن يستمع القول فيتبع أحسنه ..

الحمد لله وإن كان يقل مع حق جلاله حمد الحامدين ، و أشهد أن لا إله إلاالله إله الأولين وإله الآخرين ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى سائر من اقتفى أثره واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد ..

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

نستأنف في هذا اللقاء المبارك ماكنا قد بدأناه من التأملات في سورة (طه) ، ولقد مضى القول في فاتحة هذه السورة ، ثم انتقلنا إلى ماقرره الله ـ جل وعلا ـ في أمور العقيدة العظام وإخباره ـ جلّ وعلا ـ عن ذاته العلية بأن له مافي السماوات ومافي الأرض وماتحت الثرى ، وأنه ـ جلّ وعلا ـ يعلم الجهر والسر وأخفى ، وأنه ـ سبحانه ـ {الله الذي لاإله إلاّ هو له الأسماء الحسنى} ، ثم ذكر الله ـ جلّ وعلا ـ فيها نتفاً من خبر كليمه وصفيه (موسى بن عمران) ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ صدَّر الله ذلك بقوله { وهل أتاك حديث موسى } ، ومضى بنا القول أن الله ـ جلّ وعلا ـ ربى كليمه وصفيه أعظم تربية وطمأنه وآمنه من الخوف ، ثم أعطاه مقام التكليف أي / مقام الرسالة بعد مقام النبوة ، وانتهى بنا الأمر إلى أن الله ـ جلّ وعلا ـ نهى عبده وصفيه (موسى) من إتباع من كتب الله عليهم أنهم يصدون عن ذكره ، وأن في اتباعهم سبب الهلاك وأودية الردى ، وانتهينا إلى قوله ـ جلّ وعلا ـ : { وما تلك بيمينك يا موسى } وهي الآية الأولى في هذا اللقاء ، ثم نختم بقول الله ـ جلّ وعلا ـ { واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي } .... فنقول والله المستعان وعليه البلاغ ...

مازال الأمر مستأنفاً في مقام التكليم ، والمقام (جبل الطور) ، والمُـكلِّـم هو (الرب) ـ جلّ وعلا ـ ، والمخاطب هو (موسى) ، وقد أنكر بعض الناس هذا وقالوا : إن الله ـ جلّ وعلا ـ لم يكلم موسى تكليما ، وأوَّلوا وحرَّفوا في الآيات الناصة على ذلك .. قال الله ـ جلّ وعلا ـ : { وكلَّـم الله موسى تكليما } فأجابوا عن هذا أن حقها أن تـُقرأ { وكلم اللهَ موسى تكليما }

فجعلوا لفظ الجلالة مفعولاً به مقدم ، و(موسى) فاعلاً به مؤخراً عن مفعوله ، والرد على هؤلاء أن يُـقال : إن هذا وإن يجوز في اللغة أن يقدم المفعول على الفاعل , إلاَّ أن المعنى يذهب تماماً هنا ، لأنه إن كان القضية قضية أن موسى يناجي ربه فهذا ليس من خصائص موسى وحده , فكل المؤمنين والصالحين يناجون ربهم ويدعونه ويخاطبونه , ويسألونه ويستغفرونه فأي فخر أو فضل ينص الله عليه حتى يقول الله : { وكلــَّم الله موسى تكليماً }... , ثم أين هم عن قول الله له : { إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي } ... إلى غير ذلك من الأدلة ؟!. نقول : مازلنا في مقام التكليم قال الله لهذا الكليم : { وماتلك بيمينك يا موسى } وهذه (ما) استفهامية من غير نزاع , إلاَّ أن الاستفهام الأصل فيه أن يعرف المستفهم خبر المستفهم عنه , لكن هذا غير وارد هنا لأن الله ـ جلّ وعلا ـ يعلم مالذي بيمين موسى , بل يعلم كل شيء ولايغيب عنه مثقال ذرة ـ جلّ جلاله ـ , ولكن المقصود تربية موسى على طريق الأسئلة , وهنا تعهد رباني وعناية إلهية بعبد تغلب عنه السُـمرة , فيه حبسة في لسانه لايظهر كلامه جيداً , يجد عناء وهو يتكلّــم , وفي ليلة شاتية , أهله غير بعيدين عنه , فهذه الأجواء بالنسبة لشخص موسى , لكن هذه مواطن الضعف كلها ذهبت عندما وجدت عناية ربانية إلهية بهذا العبد , كلها زالت وكل مواطن الضعف أضحت قوة , لأن المتعهد به والقائم بأمره هو رب العزة ـ جلّ جلاله ـ ...
قال الله له : { وما تلك بيمينك يا موسى }
فأجاب ـ كما قال الله ـ : { قال هي عصاي }
وهذا يكفي في الإجابة , لكنه أراد أن يستمر

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

الخطاب تلذذاً منه بمناجاة الملك الغلاب فقال ـ عليه السلام ـ :{هي عصاي أتوكأ عليها } ولم يكن السؤال ماذا تعمل بالعصا ! وإنما السؤال مالذي في اليمين ؟ وكان يكفي أن يقال { عصاي } , لكنه كما قلنا فرحاً بمناجاة ربه فزاد { أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي } ومعلوم أن موسى لايضرب الغنم بعصاه , وإنما { أهش } بمعنى أهش على الشجر , فيتساقط ورقه على الغنم فتأكله .... ومازال مردفاً فأحياناً يغلب عليه الأدب فلا يريد أن يستمر , وأحياناً تغلب عليه المناجاة , فاتخذ طريقاً بينهما فقال :{ هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي } وكأنه شعر أنه أطال في اللفظ فقال : { ولي فيها مآرب أُخرى } ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ .. , أراد الله بهذا أن يبيِّــن أن هناك آية ستنجم عن هذه العصا , ولم يرد الله أن تكون الآية في شيء غير العصا , فلعل موسى يقع في ذهنه أنها شيطان أو ماأشبه ذلك , لكن موسى أعلم الناس بعصاه فهو يعرفها , وهي ملازمة له سنين عديدة , ويعرف من أين اقتطعها , وهو يتكأ عليها ـ كما يقول ـ , ويهش بها على غنمه فلا تكاد تفارقه , ولهذا أراد الله أن تكون الآية في نفس الشيء الذي يعرفه موسى جيداً , فخاطبه رب العزة قال { ألقها يا موسى } (ألقها) فعل أمر جُـزم بحذف حرف العلة , لذلك لا يوجد(ياء) , وإنَّـما (الهاء) بعد (القاف) مباشرة .. , استجاب الكليم لأمر ربه فألقى العصا .. قال الله : { فإذا } فُـجائية , وسيُـبيَّن نحوياً غرابة (إذا) هذه في موطنها بعد أن نترك قصة موسى ... { فإذا هي } أي العصا { حية تسعى } فُـجأةً إذا بهذه العصا التي يعرفها جيداً تنقلب إلى حية , وجاء في بعض

**الآيات (ثعبان) وفي بعض الآيات (جآن) ..,
والجمع بينها أنها (حية) في ضخامتها , و
(ثعبان) في تلونها , و (جآن) في خفتها , فهي
تتنقل وتسبح في الأرض وتجول , وبجبلته التي
فطره الله عليها كأي بشر ولَّـى هاربا .. قال
الله ـ جل وعلا ـ : { ألقها يا موسى فألقاها }
أي عصاه { فإذا هي } أي العصا { حية } ليست
ثابتة واقفة جامدة ميتة { تسعى } تتحرك { ,
قال خذها ولا تخف } بمعني أنه نجم عنه الخوف
وضِّح في سور أُخرى أنه ولَّـى هارباً , فطمأنه
ربه { أقبل ولاتخف } , ثم أمره ربه أن يأخذها
وهي حية لم تعد بعد عصا , فأخذها امتثالاً لأمر
الله , وطمأنه الله { سنعيدها } أي الحية {
سيرتها الأولى } أي تعود إلى عصا , وسيكون
لهذه العصا شأن عظيم مع نبأ موسى في دعوته
مع فرعون ـ كما سيأتي ـ , قال الله : {
سنعيدها سيرتها الأولى } وكلمة (سيرة)
تُطلق على حال الإنسان إن كانت حسنة أو
قبيحة , يقال فلان سيرته حسنة , ويقال فلان
سيرته قبيحة,{ سنعيدها سيرتها الأولى }
فعادت الحية عصاً وهي في يد موسى ـ
وسأرجيء الكلام في الفوائد إلى آخر القصة ـ
فأخذها وأعادها الله , ثم أتاه أمر آخر قال الله
له { واضمم يدك إلى جناحك } (الجناح) الأصل
أنه للطائر , واستعير هنا لبني آدم , وهو ماتحت
العضد كما أن جناح الطائر في هذا الموطن ,
وفي آية أُخرى قال الله:{وأدخل يدك في جيبك
} و (الجيب) فتحة الثوب من الصدر , والمعنى
أن موسى أدخل يده من فتحة ثوبه حتى دخلت
تحت عضده , منها أنه شعرٍ بالاطمئنان ، وهذا
إلى الآن الناس تفعله جبِلّـة يضع يده على قلبه
إذا خاف , ويقولون في التعبير (يدي على قلبي**

) كناية عن الخوف , { وأدخل يدك في جيبك }
مالذي يحدث ؟ { تخرج } جاءت مجزومة أي /
عليها سكون , لأنها واقعة في جواب الأمر الذي
هو { أدخل } , فأخرجها يقول الله له { تخرج }
أي يدك

{ بيضاء } من غير تنوين لأنها ممنوعة من
الصرف , وعليها فتحة لأنها حال , أي كيف تخرج
؟ تخرج بيضاء , وموسى كان يميل إلى السمرة
جاء في الحديث (كأنه رجل من أسد شنُوْءة)
يميلون إلى السمرة , فأخذت تبرق نوراً , وجاء
هنا احتراز عظيم { من غير سوء } فليس هذا
من مرض أو ماشابهه , وإنما من غير سوء ...
لماذا يارب؟ قال له :{ آية أُخرى } ولم يقل
(أخيرة) , { أخرى } أي غير الأولى , فالأولى
عصا انقلبت إلى حية , والثانية اليد تدخل فتخرج
بيضاء { أُخرى } أي فيه شيء قادم , تقول رجل
آخر فلا يمنع أن يأتي بعده أحد آخر , لكن أخير
أي انتهيت , فأي شيء تريد أن تختمه فصفه
بأنه أخير أي لاشيء بعده ...
قال الله ـ جلّ وعلا ـ :{ آية أُخرى } ولم ينهها ,
لأن ثمة آيات ستأتي لهذا النبي الكليم سيخاطب
بها من بُـعث إليه في الأصل وهو (فرعون) ...
قال الله : { لنريك من آياتنا الكبرى } { من
آياتنا } إفهام وإشعار لكليم الله أن آيات أُخر
ستأتي كُـبرى عظام , وقد أتت وهن في مجملها
تسع (العصا واليد) ثم أتبعها الله ـ جلّ وعلا ـ
بقوله : { ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص
من الثمرات } وهذه اثنان مع اثنين أربعة ,
وبقيت خمس قال الله : { فأرسلنا عليهم
الطوفان والجراد والقُـمَّل والضفادع والدم آيات
مفصلات } أي يتبع بعضها بعضاً وليست في آنٍ

واحد , والمقصود هذه تسع { لنريك من آياتنا
الكبرى } لأي شيء كل هذا الإعداد ؟! { إذهب
إلى فرعون إنه طغى } (إنه طغى) جملة في
التعريف بحال فرعون , وليس في وصفه لأن
قواعد النحو تقول : أن الجمل بعد المعارف
(أحوال) وبعد النكرات (صفات) , وفرعون
معرفة فالجملة التي بعده حال تبين وضع
فرعون , لكن قول الله ـ جلّ وعلا ـ { إذهب إلى
فرعون } هذا تكليف بالرسالة , وليس موسى
أول الرسل إلى فرعون , والدليل أن الله قال
حكاية عن مؤمن آل فرعون : { ولقد جاءكم
يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما
جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من
بعده رسولاً } فيوسف أُرسل إلى فرعون الذي
عاصره , وموسى أُرسل إلى فرعون الذي
عاصره وكِلاهما من أنبياء بني إسرائيل , إذ أن
موسى من ذرية يعقوب , ويوسف ابن يعقوب
وكلهم بنوا إسرائيل وقد دخلوا مصر محدودي
العدد , وخرجوا وهم أكثر من ستمائة ألف ـ كما
سيأتي في موضعه ـ ... المقصود قال الله تعالى
: { اذهب إلى فرعون إنه طغى } قـَبل
التكليف , وسأل الله الإعانة , وقدَّم أربع رجاءات
إلى ربه : { قال رب اشرح لي صدري } (رب)
مكتوبة من غير ياء , وحتى تستريح من عناء
أشياء كفاك الله همَّ البحث عنها لا يوجد (رب)
بصيغة دعاء موصولة بياء , فكلها مكونة من
حرفين (الراء , والباء المشددة) ....
{ قال رب اشرح لي صدري } فأول ماسأله الله
ـ جل وعلا ـ أن يشرح صدره لهذا التكليف , }
ويسر لي أمري } وأن ييسر له الأمر , ولاييسر
العسير إلاَّ الله , ثمّ قال : { واحلل عقدة من
لساني , يفقهوا قولي } هذه الأخيرة تحتاج إلى

بيان , موسى عليه الصلاة والسلام معلوم أنه نشأ في قصر فرعون , فلما نشأ كان فرعون على وجلٍ منه , لأنه قد سبقته رؤيا أن غلاما من بني إسرائيل سيكون على يديه هلاك ملكه فكان يتحرز , فلما نشأ موسى رضيعا نشأ فصيحاً فخاف منه , فأرادت زوجته آسية أن تمنعه من ذلك , فبعد أخذ وعطاء بينهما اتفقا على أن موسى يـُختبر فقُـدم له جمر ولؤلؤ , وقيل جمر وتمر , أو تمر في إناء فيه ياقوت وجمر من نار ليختار بينهما , فذهبت يده إلى التمر أو إلى الياقوت ... المهم أنها بعُـدت عن الجمر , قيل أن جبريل جاء ووضع يده على الجمر حتى يكون ذلك سببا في بقاءه ــ والله ـ جلَّ وعلا ـ يجعل للأشياء أسباباً , وإذا أراد الله شيئاً هيأ أسبابه ــ فوضع الجمرة في فيه فلذعته , فلما لذعته أصابته هذه الحبسة التي في لسانه والبطىء في كلامه , وهذه عيِّـره بها فرعون قال كما في آية الزخرف : { أنا خير أم هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين } أي لا يكاد يظهر كلامه ولا يفصح ولا يُـفقه ماذا يقول , ومع ذلك هنا قال موسى ــ لأن مقام الدعوة يحتاج إلى شيء من البيان مع العلم وأمور كثيرة ــ : { واحلل عقدة من لساني ، يفقهوا قولي } هنا الله قال (عقدة) على لسان موسى أنه طلب حلّ عقدة واحدة قال العلماء في هذا : إن موسى كان يطلب الأمور على قصده , ولا يريد أن يكون فصيحاً يشار إليه بالبنان , ويذكره بنوا جنسه , وإنما أراد ما يكتفي به أن يبلغ دعوة ربه , وقد فهم منها العلماء على أن الإنسان يقتصد في أمور الدنيا إذا كان مصدرا للإمامة في الدين بالقدر الذي يقيم به حاله ولا يتجاوز الحد وأخذوه من هذه الآية , ثمِّ أن الله ـ جلّ وعلا ـ ختم هذه

السؤلات بقوله : { قد أُتيت سؤلك يا موسى } وسيأتي بيانه في موضعه , نعود للقضية كلها ونستطرد في الحديث عن هذه الآيات التي سلفت فنقول في أولها : إن التربية الإلهية لا يعدلها تربية , والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (أدبني ربي فأحسن تأديبي) وإذا أراد الله شيئاً هيأ أسبابه , من أعظم ما يجعلك أن تقف على الحق وتثبت عليه علمك اليقيني به , لكن عليك أن تعلم أنك بشر ضعيف تحتاج إلى من يقوّيك , والله ـ جلّ وعلا ـ قادر على أن يثبت موسى بين يدي فرعون من غير تجربة , لكن موسى لما وقف ذلك الموقف , وانقلبت العصا حية وهو يرى , واليد أُدخِلت وخرجت وهي بيضاء وهو يرى انتهى من مقام التجربة فآمن هو بقضيَّـته , واقتنع بقدرته كان يسيراً عليه أن يقف واثقاً من نفسه متمكِّـناً من قوله مظهراً لدليله أمام فرعون , ولهذا قال الله عنه في الشعراء : { قال أولو جئتك بشيء مبين } فذلك الخوف الذي كان موجوداً انتهى { قال فأت به إن كنت من الصادقين } قال الله { فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين , ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين } لما ألقى موسى عصاه أمام فرعون لم يفرَّ هارباً رغم أنها انقلبت إلى حية مثل الأول , لأنه كان يعلم أنها ستنقلب حية , لأجل هذا ربى الله رسله , فالله يقول في حق خليله إبراهيم : { وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين } فكان إبراهيم عارفاً بملكوت السماوات كما علّـمه الله حتى يثبت أمام الشدائد التي ستأتيه , ونبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ غُسل قلبه , ومليء إيماناً وحكمة , وتجاوز السبع الطباق وعُرج به ورأى من آيات الله الكُـبرى حتى بعد ذلك إذا

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

حدّث عن الجنة والنار يحدِّث عن شيء هو مؤمن به كل الإيمان يعرفه حق المعرفة , فمن دعا إلى الله ولم يتسلّح بالعلم القلبي والإدراكي لا يكون قادراً على الثبات كغيره , ولو سمع شبهة تشكك في الجنة أو في النار , أو تخبر بعدم قيام البعث , أو كلمة يلقيها من يلقيها على عواهنها فتقع منه موقعاً يجعله يحجم عن الدعوة , فحتى الذين منَّ الله عليهم بالهداية من خلال موقف إيماني كالذي يرى مصرعاً لأحد , أو يمر على جنازة , أو يرى قبراً هذا محمود يكون سبباً في الهداية لكنه لا يكفي , فلابد أن يُسقى ذلك بعلم بالله ـ جلّ وعلا ـ حتى يكون ثبات على الدين , لأن أثر ذلك الموقف العارض لا يلبث أن ينجلي إن لم يُـسقى برحيق العلم والمعرفة والتفكّـر في مخلوقات الله , وإذا أراد الله بعبد خيراً ومُـضيٍ في الطريق قلّــبه ـ جلّ وعلا ـ في أمور الدنيا والأهوال والنوازل والابتلاءات... وغيرها يراها حتى يشتد عوده , ويثبت جنانه , ويصبح على بيِّـنة من ربه وهو يدعوا إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ , وهذه العطية هي التي منحها الله ووهبها لأوليائه ورسله وخاصةً منهم أولو العزم , ومنهم كليم الله موسى بن عمران ....

***الأمر الثاني ـ كفوائد ـ : أن الإنسان ضعيف لولا إعانة الله ـ جلّ وعلا ـ له , وقد ورد في الحديث القدسي أن الله ـ جلّ وعلا ـ قال لموسى : (يا موسى سلني ملح عجينتك , سلني علف دابتك , سلني شسع نعلك ..) فأي أحدٍ فقير إلى الله من كل وجه , والعطايا الألهية إليك بقدر عظيم إظهار فقرك إلى الله ـ جلّ وعلا ـ , فلا تدخلن مقاما , ولاتجلسن على كرسي , ولاتتصدرن في موضع وأنت تظن أنك وصلت إليه بحولك**

وقوتك , فإذا كان الكليم يقول : { رب اشرح لي صدري , ويسر لي أمري } ويسأل الله الإعانة تلو الإعانة , والأمر تلو الأمر .. , لكن المهم أن لا تسأله غير الله ـ جلّ وعلا ـ , وأن تلجأ إلى الله ـ جلّ وعلا ـ في حاجتك , فقد مرّ معنا في دروس عدة مقولة نُقلت عن (العزِّ بن عبد السلام) قالها في كتابه (فوائد الأحكام) قال : (والله لن يصلوا إلى شيءٍ بغير الله , فكيف يوصل إلى الله بغير الله) وهذا من نفائس الكـلم , ولا يوفق لقوله أي أحد , لكن (العز بن عبد السلام) كان ـ فيما نحسبه ـ عارفاً بربه عالماً بالشرع متدبراً بالأمر مستعيناً برب العزة والجلال , فوفق لأن تخرج منه هذه الكلمات , وهذا مادلت عليه جملة سؤالات الأنبياء , وخاصة فيما نحن فيه من سؤال كليم الله موسى بن عمران لربه ـ جلّ وعلا ـ ...

*** مما دلت عليه الآية أن الخوف جبلِّـي في الإنسان , وأن الإنسان لا يُعيّـر بالخوف , وقد قال الله ـ جلّ وعلا ـ عن موسى في آية أُخرى : { قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون} , { إني أخاف أن يكذبون } ومع هذا طمأنه الله , فثمّة أمور جبِّـلية تنشأ في بني آدم لا تضر , لكن العبرة بما استقر عليه القلب , والسكينة أمر محمود , والأمنة من الله شيء عظيم وهبة منه , والله له جند ينصر ـ جلّ وعلا ـ حتى بالنوم والنعاس نصر المؤمنين في بدر { إذ يغشِّـكم النعاس أمنة منه } فالله ـ جل وعلا ـ له جند يعلمهم ولا نعلمهم ,**

والمقصود: من أراد الله الاحتفاء به وإكرامه سيسخِّـــر الله له من الجند مايعلم ومالا يعلمه ذلك المؤيد المنصور ....

*** دلت الآيات كذلك على أن أسلوب الأخذ**

والعطاء في إقناع الغير أمر محمود خاصة في التربية , فمن دونك من الطلاب أو الابناء , ومن تريد إقناعه الوصول إلى الغايات الذي تريد إيصالها إليه عن طريق الحوار والأخذ والعطاء والتساؤلات والبدء من الأشياء المتفق عليها إلى الأشياء المختلف عليها أمر محمود في الطريقة , ثم إن إشعار من أمامك بمحبتك له وإجلالك له , والانطلاق من أشياء تتفقون عليها من أعظم أسباب قبول ذلك الطرف أو الغير أو المحب الذي تريد أن توصله إلى برِّ الأمان , فمن أعظم أسباب الوصول إلى قلبه إتباع مثل هذه الطرائق ...
قلنا إننا سنرجيء الحديث عن (إذا) الفُجائية .... , من المعلوم أن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ عندما ألقى العصا كان يعلم أنها عصا , ولم يَـدُر في خلده أنها ستنقلب حية , فيقول النحويون إن هذه (إذا) الفُجائية ومابعدها حقه عند جماهيرهم أنه يُرفع ولهذا قال الله : { فإذا هي بيضاءُ } خبر { للناظرين} , وقال هنا : { فإذا هي حيةٌ } بالضم } تسعى} , فالقرآن يدل على المذهب النحوي القائل : إن الأصل فيما يأتي بعد (إذا) الفُجائية أن يكون مرفوعاً , وهذه مسألة ـ مرّت ربما معنا ـ تُسمَّـى مسألة (الزنبورية) , وذلك أن سيبويه إمام النحاة خرج من البصرة يؤمِّـل مجداً في بغداد , فدخل على يحيى بن خالد البرمكي ـ وزير هارون الرشيد ـ , وكانت بغداد آنذاك حاضرة الإسلام , والخلافة فيها موطن الناس , فجاء يؤمِّـل فيها مجداً عظيماً وكان إمام البصرة غير منازع , والكسائي إمام أهل الكوفة ، فالتقيا الكسائي وسيبويه في مجلس خالد بن يحيى البرمكي وعنده ابنه جعفر , فقال

الكسائي لسيبويه : تسألني أم أسألك ؟ قال : سلني , فذكر الكسائي هذه المسألة ـ مايقع بعد (إذا) وأنه يجوز فيها الوجهان (الرفع والنصب) ـ فمنع سيبويه أن العرب تقولها بالنصب , وأنه ليس لها إلاّ وجهاً واحداً هو (الرفع) والقرآن يؤيده , لكن الكسائي أصر , فقال يحيى بن خالد : اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما ؟! , فقال له الكسائي : هذه وجوه الأعراب في الباب فاسألهم .... , فقيل أن المسألة كانت سياسية أصلاً قبل أن تكون علمية للتنازع مابين الكوفة والبصرة , والتنازع مابين الكسائي كشخص مقرب من الوالي وبين سيبويه الذي لم يظهر له بعد قُربة عند السلطان ,فوجوه الأعراب مالت إلى الكسائي عمداً تريد أن تنصره على خصمه سيبويه , فأشاروا بأن الصواب مع الكسائي فبُـهت سيبويه , فزاده حنقاً أن الكسائي أخذ يظهر عطفه عليه ويقول ليحيى : إنه جاء يؤمِّـل منك عطايا فاجبر كسره وارحمه ... , فالآن جعله ضعيفاً بعد أن كان يعلم أن سيبويه أعظم منه في النحو , فلما قال له ذلك خرج سيبويه من عنده كسيراً من سوء مالحق به , واستحيا أن يعود إلى البصرة وقد خرج منها إماماً فلحق بفارس , ثم مات مُـغتمَّـاً في ريعان شبابه ولم يكن قد جاوز الرابعة والثلاثين من عمره , ثم قيّـض الله للكسائي تلميذاً من تلاميذ سيبويه يقال له أحمد أبو محمد اليزيدي , هذا اليزيدي دخل مع الكسائي في مناظرة أُخرى , مع أن الأولى قلنا أن الحق مع سيبويه لكن السياسة لعبت دورها , وللعلماء في تخريج قول الكسائي خمسة أوجه , وكلها باطله بيّنها أهل النحو ولاحاجة للتفصيل فيها الآن , لكن جاء اليزيدي ببيتين من الشعر قالهما في

نفس المجلس وأمام الكسائي وقال : هل تجيز هذا ؟ وقبل أن نقول البيتين وحتى تفهمهما لئلا تقع فيما وقع فيه الكسائي .... العرب معلوم أنها ترفع اسم (كان) وتنصب خبره وهذا شبه متفق عليه , فقال اليزيدي للكسائي ماذا تقول في قول العرب :
ما رأينا خرباً ينقرعنه البيضَ صقرُ
لايكون العير مهراً لايكون المهر مهرُ
نلاحظ أن (لا يكون) تكررت مرتين وهي التي أرادها يقع فيها الكسائي مزلقاً , فوقع فيها ... , فلقد فهمها الكسائي بأن اليزيدي يقول :
لايكون العير مهراً لايكون المهر مهراً وهذا هو أصلها النصب , لكن اليزيدي نطقها بالرفع (لايكون المهر مهرُ) , فاليزيدي قصد (لايكون العير) أي الحمار (مهراً) وهنا انتهى الكلام , (المهرُ مهرُ) مبتدأ وخبر كِلاهما مرفوع , لكن الكسائي قرأها (لا يكون العير مهراً لا يكون المهرُ مهراً) فوجدها منصوبة , فردَّ البيتين وقال أنهما خطأ , فلا يقع الرفع وإنما حقها النصب , ولاتجوز إلاّ لضرورة الشعر وعبَّـر عنها باصطلاح يسمى (الاسراف) عند البعض(والإقواء) عند البعض , ففرح اليزيدي فرحاً أن المزلق وقع فيه الكسائي , فصار يعيده عليه ويقول له انظر والكسائي مُـصرٌّ , مع أن البيت واضح لا يغيب عن رجل مثل الكسائي , لكن إذا أراد الله شيئاً يقع , فكررها مرتين وثلاثاً هنا وقع اليزيدي في الخطأ , فلما أصرَّ الكسائي على رأيه وعلم اليزيدي أنه أوقع الكسائي فيما يريد خلع عمامته وضرب بها الأرض فرحا , وضرب بيده على صدره وقال : أنا أبو محمد ــ يعني انتصرت ــ , فقال له يحيى بن خالد : والله

لخطأ الكسائي مع حسن أدبه أحب إلينا من صوابك مع سوء أدبك , أتتكنى بحضرة أمير المؤمنين وتنزع قنسوتك من رأسك ! ـ يعني هذا سوء أدب لايُـفعل أمام أمير المؤمنين ـ , فانقلب الأمر عليه وإن كان منتصراً في الأصل ... *هذا مادوَّنه المؤرخون *

أقول ـ عفا الله عني ـ : نصر الله الكسائي بالقرآن , يظهر لي أن الدور العظيم الذي لعبه الكسائي في حفظ القرآن هو الذي نصره في هذين الموضعين , فنصره الله في الأولى على سيبويه مع أن الحق مع سيبويه من جميع الأوجه , وهذه المرة حتى عندما وقع , وقع اليزيدي في سوء الأدب , وبقي هو على حشمته ووقاره فكانت سببا في نصرته .... , والذي نريد أن تفهمه من هذا الاستطراد أمور من أهمها : * لا تبدأ أحد بالأسئلة , دع خصمك هو الذي يبدأ , فإذا غُلبت في الرد على خصمك , يقولون حـوِّل الجواب إلى سؤال , فينشغل خصمك بالإجابة وتسلم أنت , هذا إذا تريد موارد أهل الدنيا , أما إذا تريد موارد أهل الآخرة فلا تدخلن مجلساً إلاّ وأنت تريد أن تصل فيه إلى الحق , وقد كان الشافعي ـ رحمه الله ـ يقول : ماجادلت أحداً إلاّ تمنيت أن يخرج الله الحق على لسانه , وحب الشافعي للحق هو الذي أوصله هذه المنزلة العالية من حب المسلمين ــ وهذا في الأخذ والعطاء ــ , لكن يحصل بين الأنداد عموماً التنازع , ولذلك لا يحبذ أن يجتمع أكثر من طالب علم في مجلس صدارة في مكان واحد , حتى لايقع بينهما التنازع , فمالك ـ رحمه الله ـ على جلالة قدره كان في المدينة مجاوراً لمحمد بن إسحاق صاحب السيرة , وكل منهما جليل القدر في فنه , عظيم الأثر في علم الأمة , وإن كان

مالك نحى إلى علم الحديث فهو أشرف من هذا الوجه , فيقولون إن مالك كان يقول عن محمد بن إسحاق: أنه دجال من الدجاجلة ـ على الروايات التي يقولها أهل التأريخ ـ , ومحمد بن إسحاق يقول : إتوني بالموطأ فأنا بيطاره ـ يعني طبيبه ـ , والمعنى/ أبيّـن لكم أخطاء مالك في الموطأ ـ وطبعاً لايُـقبل قول كل واحد منهما في الآخر , لكن يوجد من أهل العلم من منَّ الله عليه ببغية الحق أينما كان حتى في تعامله مع أنداده وقرنائه يتقي الله ـ جلّ وعلا ـ فيهم , ولا يمنعنَّـه كونهم أنداداً له ومعاصرين أن يترفّع عليهم أو أن يقول فيهم بغير وجه حق , لكن هذه منزلة عالية ليس الكل يؤتاها ......
هذا استطراد في قول الله ـ جل وعلا ـ : {فإذا هي حية تسعى } ...
والمقصود: من أراد الله الاحتفاء به وإكرامه سيسخِّــر الله له من الجند مايعلم ومالا يعلمه ذلك المؤيد المنصور ....
*** دلت الآيات كذلك على أن أسلوب الأخذ والعطاء في إقناع الغير أمر محمود خاصة في التربية , فمن دونك من الطلاب أو الابناء , ومن تريد إقناعه الوصول إلى الغايات الذي تريد إيصالها إليه عن طريق الحوار والأخذ والعطاء والتساؤلات والبدء من الأشياء المتفق عليها إلى الأشياء المختلف عليها أمر محمود في الطريقة , ثم إن إشعار من أمامك بمحبتك له وإجلالك له , والانطلاق من أشياء تتفقون عليها من أعظم أسباب قبول ذلك الطرف أو الغير أو المحب الذي تريد أن توصله إلى برِّ الأمان , فمن أعظم أسباب الوصول إلى قلبه إتباع مثل هذه الطرائق ...**
قلنا إننا سنرجيء الحديث عن (إذا)

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

الفُجائية .... , من المعلوم أن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ عندما ألقى العصا كان يعلم أنها عصا , ولم يَـدُر في خلده أنها ستنقلب حية , فيقول النحويون إن هذه (إذا) الفُجائية ومابعدها حقه عند جماهيرهم أنه يُرفع ولهذا قال الله : { فإذا هي بيضاءُ } خبر { للناظرين} , وقال هنا : { فإذا هي حيةٌ } بالضم { تسعى} , فالقرآن يدل على المذهب النحوي القائل : إن الأصل فيما يأتي بعد (إذا) الفُجائية أن يكون مرفوعاً , وهذه مسألة ـ مرّت ربما معنا ـ تُسمَّـى مسألة (الزنبورية) , وذلك أن سيبويه إمام النحاة خرج من البصرة يؤمِّـل مجداً في بغداد , فدخل على يحيى بن خالد البرمكي ـ وزير هارون الرشيد ـ , وكانت بغداد آنذاك حاضرة الإسلام , والخلافة فيها موطن الناس , فجاء يؤمِّـل فيها مجداً عظيماً وكان إمام البصرة غير منازع , والكسائي إمام أهل الكوفة ، فالتقيا الكسائي وسيبويه في مجلس خالد بن يحيى البرمكي وعنده ابنه جعفر , فقال الكسائي لسيبويه : تسألني أم أسألك ؟ قال : سلني , فذكر الكسائي هذه المسألة ـ مايقع بعد (إذا) وأنه يجوز فيها الوجهان (الرفع والنصب) ـ فمنع سيبويه أن العرب تقولها بالنصب , وأنه ليس لها إلاّ وجهاً واحداً هو (الرفع) والقرآن يؤيده , لكن الكسائي أصر , فقال يحيى بن خالد : اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما ؟! , فقال له الكسائي : هذه وجوه الأعراب في الباب فاسألهم .... , فقيل أن المسألة كانت سياسية أصلاً قبل أن تكون علمية للتنازع مابين الكوفة والبصرة , والتنازع مابين الكسائي كشخص مقرب من الوالي وبين سيبويه الذي لم يظهر له بعد قُربة عند السلطان

,فوجوه الأعراب مالت إلى الكسائي عمداً تريد أن تنصره على خصمه سيبويه , فأشاروا بأن الصواب مع الكسائي فبُـهت سيبويه , فزاده حنقاً أن الكسائي أخذ يظهر عطفه عليه ويقول ليحيى : إنه جاء يؤمِّـل منك عطايا فاجبر كسره وارحمه ... , فالآن جعله ضعيفاً بعد أن كان يعلم أن سيبويه أعظم منه في النحو , فلما قال له ذلك خرج سيبويه من عنده كسيراً من سوء مالحق به , واستحيا أن يعود إلى البصرة وقد خرج منها إماماً فلحق بفارس , ثم مات مُـغتمَّـاً في ريعان شبابه ولم يكن قد جاوز الرابعة والثلاثين من عمره , ثم قيّـض الله للكسائي تلميذاً من تلاميذ سيبويه يقال له أحمد أبو محمد اليزيدي , هذا اليزيدي دخل مع الكسائي في مناظرة أُخرى , مع أن الأولى قلنا أن الحق مع سيبويه لكن السياسة لعبت دورها , وللعلماء في تخريج قول الكسائي خمسة أوجه , وكلها باطله بيّنها أهل النحو ولاحاجة للتفصيل فيها الآن , لكن جاء اليزيدي ببيتين من الشعر قالهما في نفس المجلس وأمام الكسائي وقال : هل تجيز هذا ؟ وقبل أن نقول البيتين وحتى تفهمهما لئلا تقع فيما وقع فيه الكسائي .... العرب معلوم أنها ترفع اسم (كان) وتنصب خبره وهذا شبه متفق عليه , فقال اليزيدي للكسائي ماذا تقول في قول العرب :

ما رأينا خرباً ينقرعنه البيضَ صقرُ
لايكون العير مهراً لايكون المهر مهرُ

نلاحظ أن (لا يكون) تكررت مرتين وهي التي أرادها يقع فيها الكسائي مزلقاً , فوقع فيها ... , فلقد فهمها الكسائي بأن اليزيدي يقول :
لايكون العير مهراً لايكون المهر مهراً وهذا هو

أصلها النصب , لكن اليزيدي نطقها بالرفع (لايكون المهر مهرُ) , فاليزيدي قصد (لايكون العير) أي الحمار (مهراً) وهنا انتهى الكلام , (المهرُ مهرُ) مبتدأ وخبر كِلاهما مرفوع , لكن الكسائي قرأها (لا يكون العير مهراً لا يكون المهرُ مهراً) فوجدها منصوبة , فردَّ البيتين وقال أنهما خطأ , فلا يقع الرفع وإنما حقها النصب , ولاتجوز إلاّ لضرورة الشعر وعبَّـر عنها باصطلاح يسمى (الاسراف) عند البعض(والإقواء) عند البعض , ففرح اليزيدي فرحاً أن المزلق وقع فيه الكسائي , فصار يعيده عليه ويقول له انظر والكسائي مُـصرٌّ , مع أن البيت واضح لا يغيب عن رجل مثل الكسائي , لكن إذا أراد الله شيئاً يقع , فكررها مرتين وثلاثاً هنا وقع اليزيدي في الخطأ , فلما أصرَّ الكسائي على رأيه وعلم اليزيدي أنه أوقع الكسائي فيما يريد خلع عمامته وضرب بها الأرض فرحا , وضرب بيده على صدره وقال : أنا أبو محمد ــ يعني انتصرت ــ , فقال له يحيى بن خالد : والله لخطأ الكسائي مع حسن أدبه أحب إلينا من صوابك مع سوء أدبك , أتتكنى بحضرة أمير المؤمنين وتنزع قنسوتك من رأسك ! ـ يعني هذا سوء أدب لايُـفعل أمام أمير المؤمنين ـ , فانقلب الأمر عليه وإن كان منتصراً في الأصل ...*هذا مادوَّنه المؤرخون *

أقول ـ عفا الله عني ـ : نصر الله الكسائي بالقرآن , يظهر لي أن الدور العظيم الذي لعبه الكسائي في حفظ القرآن هو الذي نصره في هذين الموضعين , فنصره الله في الأولى على سيبويه مع أن الحق مع سيبويه من جميع الأوجه , وهذه المرة حتى عندما وقع , وقع اليزيدي في سوء الأدب , وبقي هو على حشمته ووقاره

فكانت سببا في نصرته .... , والذي نريد أن تفهمه من هذا الاستطراد أمور من أهمها : * لا تبدأ أحد بالأسئلة , دع خصمك هو الذي يبدأ , فإذا غُلبت في الرد على خصمك , يقولون حـوِّل الجواب إلى سؤال , فينشغل خصمك بالإجابة وتسلم أنت , هذا إذا تريد موارد أهل الدنيا , أما إذا تريد موارد أهل الآخرة فلا تدخلن مجلساً إلاّ وأنت تريد أن تصل فيه إلى الحق , وقد كان الشافعي ـ رحمه الله ـ يقول : ماجادلت أحداً إلاّ تمنيت أن يخرج الله الحق على لسانه , وحب الشافعي للحق هو الذي أوصله هذه المنزلة العالية من حب المسلمين ــ وهذا في الأخذ والعطاء ــ , لكن يحصل بين الأنداد عموماً التنازع , ولذلك لا يحبذ أن يجتمع أكثر من طالب علم في مجلس صدارة في مكان واحد , حتى لايقع بينهما التنازع , فمالك ـ رحمه الله ـ على جلالة قدره كان في المدينة مجاوراً لمحمد بن إسحاق صاحب السيرة , وكل منهما جليل القدر في فنه , عظيم الأثر في علم الأمة , وإن كان مالك نحى إلى علم الحديث فهو أشرف من هذا الوجه , فيقولون إن مالك كان يقول عن محمد بن إسحاق: أنه دجال من الدجاجلة ـ على الروايات التي يقولها أهل التأريخ ـ , ومحمد بن إسحاق يقول : إتوني بالموطأ فأنا بيطاره ـ يعني طبيبه ـ , والمعنى/ أبيّـن لكم أخطاء مالك في الموطأ ـ وطبعاً لايُـقبل قول كل واحد منهما في الآخر , لكن يوجد من أهل العلم من منَّ الله عليه ببغية الحق أينما كان حتى في تعامله مع أنداده وقرنائه يتقي الله ـ جلّ وعلا ـ فيهم , ولا يمنعتَّـه كونهم أنداداً له ومعاصرين أن يترفّع عليهم أو أن يقول فيهم بغير وجه حق , لكن هذه منزلة عالية ليس الكل يؤتاها ......

محاسن التأويل

الشيخ صالح المغامسي

هذا استطراد في قول الله ـ جل وعلا ـ : {فإذا هي حية تسعى } ...

- **من فوائد هذه القصة كذلك أن الله ـ جلّ وعلا ـ قال لنبيه : { خذها ولاتخف سنعيدها سيرتها الأولى } فقول الله ـ جلّ وعلا ـ { ولاتخف } هذا نوع من الاطمئنان أعطاه الله ـ جلّ وعلا ـ موسى قبل أن يأخذ العصا , وهذا يأتي في التربية حتى الذين تريد أن تربيهم على الحق لاتقطع أملهم في المكافأت , أو لاتظهر تخليك عنهم تماماً وتقول : لا أنا أريد أن أربيهم , أو أريد أن يصل للحق بنفسه ... يحسن أن يكون هناك ثمة شيء يسير من الإعانة كما أعان الله كليمه موسى بقوله { خذها ولاتخف } , ولو قال له (خذها) من غير أن يقول له (ولاتخف) لأخذها موسى , لأن موسى أتقى لله من أن يرد قوله , ولكن الله قال له (ولاتخف) نوع من الاطمئنان , نوع من الإعانة , نوع من التيسير في التكليف , ولهذا جاء في دعاء الصالحين : { ولاتحملنا مالا طاقة لنا به }**

{قال خذها ولاتخف سنعيدها سيرتها الأولى } ثم إن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما سيأتي هذا تفصيلاً في أمر آخر ـ طلب أن تكون الوزارة في أخيه هارون , لأن قلنا أن في موسى حُبسه , وهارون كان فصيحاً , فكان الناس في حاجة إلى صرامة موسى وحسن سياسته مع قدرة هارون على التعبير وإيضاح الرأي , وقد ختم الله ـ جلّ وعلا ـ هذا المقطع الذي سنبدأ به لقاءً قادماً ـ إن شاء الله ـ قوله : { قد أُتيت سؤلك يا موسى } وهذه الكلمة الإلهية لهذا العبد

الصالح من أعظم مايُـفرح به أن يجيب الله ـ جلّ وعلا ـ دعائك , وإجابة الدعاء من أعظم العطايا , ولهذا قال الله لنبيه مقروناً بحرف التحقيق :
{ قد أُتيت سؤلك يا موسى } ثم أخبره أن هذه ليست أول منّة له , المراد من هذا يقال : إن الدعاء من أعظم ما ينتصر به الإنسان , لكن من المهم أن يكون هذا الدعاء مقروناً بحسن نية , فوالله لن يوجد أحد لديه حسن نية في بُغية شيء إلاّ وأعطاه الله ـ جلّ وعلا ـ إياه , إذا كان يريد ذلك الشيء الذي يبتغيه النصح لله ورسوله , وليس له فيه ولا لغيره حظ ولا نصيب , فالله يقول: { يهدي الله لنوره من يشاء }, ومن جملة مشيئة الله في الهداية إلى النور ـ سواء النور العام الذي هو الإسلام أو نور الوصول إلى بعض المعارف والحقائق والغايات ـ يكون مرتبطاً بحسن المقصد , ويكون الإنسان همُّه وبغيته أن يصل إلى هذا الأمر الذي يبتغيه إلى رضوان الله , وقد يُمكّـن من يبتغي غير الأمر الذي ينشده غير الله ـ يعني يبتغي بالأمر غير الله ـ , لكن مثل هذا لايُـعد إماماً في الدين , لأن الله ـ جلّ وعلا ـ منع الإمامة في الدين للظالمين , ولاريب أنه ظالم لنفسه من أراد للدنيا غير وجه الله , ومن أراد بالعمل الصالح والخيِّر غير وجه الله , والله قال لعبد ـ وأي عبد ـ وهو خليله إبراهيم قال : { إني جاعلك للناس إماماً }فقال متلهفاً من أجل ذريته : { قال ومن ذريتي } فحكم الحكم العدل فقال لإبراهيم : {لا ينال عهدي الظالمون } أي هذه العطية والعهد والميثاق التي أعطيتك

إياها لا ينالها ولا يصيبها ولا يفرح بها ظالم , فلا يسمى إماماً في الدين من ابتغى بعلم أو بأي أمر آخر أحداً غير الله , لكن الإمام في الدين الحق من ابتغى بعلمه الله ـ جلّ وعلا ـ وحده , ولم يستشرف ولم يشرأب عنقه لغير عطايا الرب تبارك وتعالى , فما أتاه من الدنيا يتحرز منه , وقد ينقل له رؤى ومنامات تُحكى عنه ويُمدح ويقول الناس فيه ما يقول , وأن الله كتب لك القبول .... وأمثال ذلك , فليأخذها على حذر خوفاً أن يكون استدراجاً , فإن العبد لا يدري بما يُختم له , هذا التكليم الذي حدث في سورة (طه) جعل بعض العلماء كتسمية اجتهادية لسورة (طه) يسمونها سورة (الكليم) , لكن هذا وقع عند بعض المفسرين , أما الاسم التوقيفي لها سورة (طه) .....

هذا مايسر الله ـ جلّ وعلا ـ قوله حول هذا الخبر المبارك عن نبي الله موسى , وجملة نقول : أن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أثر الله من ذكر قصصه في عدة مواطن , السبب في ذلك أنه عالج بني إسرائيل أشد المعالجة , وهذه المعالجة انقلبت نُصحاً في حديث الإسراء والمعراج فإنه قال لنبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إنني قد بلوت الناس قبلك , وإن أمتك لن يطيقوا ذلك) وهذا النبي الكريم واجه أمرين : أمر عتو من أرسل إليه وهو (فرعون) , وأمر في أن من حوله من بني إسرائيل لم يكونوا يعينوه على دعوة ربه , فما أن نجّاه الله من فرعون حتى وجد العناء والعنت من قومه { قالوا إنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب

أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون } ومع ذلك صبر على طغيان فرعون , وصبر على عنت قومه وشقائهم وعتوهم معه حتى ختم الله ـ جلّ وعلا ـ ومات في أرض التيه , وبقي عبداً صلحاً حتى وهو في قبره , يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (مررت ليلة أُعرج بي وإذا بموسى قائماً يصلي في قبره) وهذه حياة برزخية الله أعلم بها , لكنها تُبيّـن لك أي مقام كريم لهذا النبي الكليم ـ صلوات الله عليه وعلى نبينا صلى الله عليه وسلم ـ , نعود فنختم جملة ما يقال .... هذا ما تيسر قوله من سورة (طه) بدأنا من قول الله ـ جلّ وعلا ـ : { طه } إلى قوله ـ جلّ وعلا ـ : { واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي } وقلنا : أن في هذه الستة عشر آية تقريباً أو أكثر من المنافع مابيناه إجمالاً وتفصيلاً , وسنشرع ـ إن شاء الله ـ في اللقاء القادم في الحديث عن الرجاء الأخير لموسى عند ربه وهو أن يجعل له وزيراً من أهله , ثم كيف أن الله ـ جلّ وعلا ـ ذكّـره بالمنن السابقة والعطايا التي سبقت مقام التكليم بقوله ـ جلّ وعلا ـ : {ولقد مننا عليك مرة أُخرى , إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى } ثم سيأتي بإذنه ـ جلّ وعلا ـ تفصيلاً خروج موسى وهارون إلى فرعون , والمنازعة التي حصلت بين الرسول ـ عليه السلام ـ وبين فرعون , والقضايا التي أُثيرت , ثم ما حصل بينهما من تواعد في السحر , ثم نصرة الله لموسى على السحرة , وإيمان السحرة وتوعِّد فرعون لهم , ثم خروج موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقومه من أرض مصر إلى الأرض المقدّسة , ثم

وفاة موسى في أرض التيه بعد غرق فرعون بسنين عديدة , ثم سيأتي الكلام عن يوشع بن نون , والحديث عن بني إسرائيل مفصلاً في حينه ......
هذا ما تيسر إيراده , وتهيأ قوله , وأعان الله ـ جلّ وعلا ـ على ذكره , والله المستعان وعليه البلاغ , وصلى الله على محمد وعلى آله , والحمد لله رب العالمين ......

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مُباركاً فيه وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك لهُ خلق فسوى وقدّر فهدى وأخرج المرعى فجعلهُ غُثاءً أحوى وأشهدُ أن سيدنا ونبينا مُحمدً عبدهُ ورسُولهُ صلى الله علية وعلى آلهِ وأصحابهِ وعلى سائر من اقتفى أثرهُ وأتبع منهجهُ بإحسانٍ إلى يوم الدين ....
أما بعد
فهذا استئنافٌ للقاءٍ ماضي حول قول اللهِ جل وعلا
(ولقد أريناهُ ءاياتنا كُلها فكذّب وأبى)
والمخاطبُ فيها فرعون بالاتفاق وقد مضى معنا ما أظهرهُ موسى لفرعون من الآيات .
وينبغي أن تعلم قبل أن نقُصّ عليك ما في هذهِ الآيات من عبرٍ وعظات ودلائل وآيات:
أن هذهِ الأمور لم تتمّ في بُرهة وأنهُ ليس بمُجرّد أن دخل موسى على فرعون تمّت القضيةُ كُلها ولكنّها مرّت عبر سنين فموسى علية الصلاةُ والسلام أستوطن أرض مِصر فترةً طويلة قبل أن يخرُج منها .
وما ذكرهُ الله جل وعلا من خبرِ قارون (وخسفنا بهِ وبدارهِ الأرض) إنما هذا كان قبل خروج موسى من أرض فرعون أُهلك قارون .
وجزت لهُ صراعات منها أن الله جل وعلا أمرهم أن يتخذُوا بيوتهُم قبلة وأن الله جل وعلا أمرهُم بأمورٍ كُثر ومرّت الآيات كالطوفان والجراد والقُمّل والضفادع هذا كُلهُ حصل على مراحل زمنية طويلة وأن الله جل وعلا أرحم من أن يُعذّب من غير أن يُعطي مساحة زمنية لمن أراد أن يُعذّبهُم وإنما لا يهلكُ على الله إلا هالك والشقيُ من لم تتداركهُ رحمةُ الرب تبارك وتعالى .
وفرعون إنّما أهلكهُ شقاؤه وعنادهُ ومُكابرتهُ سنين طويلة ..

هنا يقولُ الله جل (ولقد أريناهُ ءاياتنا كُلها فكذّب وأبى)

نحوياً آياتنا جاءت بالكسرِ لأنها جمعُ مؤنثٍ سالم وإذا نُصب يُنصب بالكسرة نيابةً عن الفتحة أكّد بتوكيد معنوي هو كلمة كُن ولهذا كلمة كُن جاءت منصوبة لأنها أكّدت المحل لا اللفظ (ولقد أريناهُ ءاياتنا كُلها) والمقصود بكلمة كُل هُنا كُلُ الآيات التي كتب اللهُ أن يُعطيها موسى حُجةً على فرعون وكلمة كُل لا تُفيدُ عددا لكنّ العدد جاء مُبيناً في سورةٍ أُخرى قال الله (في تسع ءايات إلى فرعون و ملائهِ) وهذا التسع مرّت معنا كثيرا ولا بأس من ذكرها :

اليد والعصا من قبل هذهِ اثنتان .
وقال الله (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقصٍ من الثمرات) هذهِ اثنتان مع الأولين أصبحت أربعاً .
وقال جل وعلا (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم) هذهِ خمس آياتٌ مُفصّلات مع الأربع الأول أضحت تسع هي المقصودة يقول الله جل وعلا (ولقد أريناهُ ءاياتنا كُلها) .

ومع تلك الآيات المُتتابعة المُفصّلة قال الله (فكذّب وأبى) وقد قُلنا في الدرس الماضي إن قول الله جل وعلا (إنهُ قد أُحي إلينا أن العذاب على من كذّب وتولى) قُلنا إن أعظم فائدة أنهُ لا يُخلّد في النار إلا من كذّب وتولى .
فقولُ الله هنا (فكذّب وأبى) هي عينُ قول الله (كذّب وتولى) وهي عينُ قول اللهِ (لا يصلها إلا الأشقى الذي كذّب وتولى) فالتولي والإِباء والإعراض بمعنىً بمعنــىً واحد .
وهذهِ كُلُ من يُريدُ أن يتخذ منهجاً لمعرفةٍ عقائد الناس يجبُ عليهِ أن يستصحب هذا الأصل قبل أن يُجازف في تكفير الناس .

نقول الله يقول (ولقد أريناهُ ءاياتنا كُلها فكذّب وأبى)
(قال أجئتنا) هذا فرعون يقول لموسى (أجئتنا لتُخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى)فجعل تلك الآيات اسماها سحرا وخصّ منها بالذات اليد والعصا والعصــا على وجه الخصوص لأنها انقلبت على هيئة حيةٍ وثُعبان.

(أجئتنا لتُخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى) وهذا القولُ أراد بهِ فرعونُ إثارة العامة والغوغاء أن المقصود الأسمى من رسالةِ موسى وهارون في زعمهِ ليس توحيدُ الله وإنّما إخراجِ أهلِ مصر من مصر وقد كانت القوى السياسية العامة في أرض مصر يجعلُها فرعون مُقسّمة ثلاثة أقسام جعلها فرعون مُقسّمة ثلاث أقسام :

القوة الإدارية السياسية جعلها فرعون بيد هامان (يا هامان أبن لي صرحا) وكان وزيراً لفرعون.
والقوة المالية الاقتصادية كانت بيد قارون .
والقوة الإعلامية كانت بيد السحرة كانت بيد من ؟ بيد السحرة .

فقال فرعونُ هنا (أجئتنا لتُخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى * فلنأتينّك بسحرٍ مثلهِ)حتى يُؤكد أن ما جاء بهِ موسى سحر .
والسحرُ لهُ حقيقةٌ بلا شكٍ وإن كان يخفى على أكثر الخلق لكنّ لهُ حقيقة كما هو مذهبُ أهلُ السُنة والله جل وعلا ذكرهُ في مواطن مُتعددة في كتابهِ ونصّ على أن تعلّمهُ كُفر قال الله جل وعلا (وما يُعلّمانِ من أحدٍ حتى يقولا إنّما نحنُ فتنةٌ فلا تكفُر) وليس هذا مقامُ البسطَ فيهِ لأننا نبقى أوفياء للآيات لا نخرُجُ عنها بأكثر مما هو لازم .

نقول (فلنأتينك بسحرٍ مثلهِ فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نُخلفهُ نحنُ ولا أنت)

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

هل هو موعد زماني أو موعد مكاني ؟

ظاهرُ كلامِ فرعون أنهُ موعد مكاني لكنّ جواب موسى جعلهُ زمانياً (موعداً لا نُخلفهُ نحنُ ولا أنت مكاناً سُوى) وكأنهُ يضمن أن ينتصر .

قال بعضُ العُلماء في تفسير (مكانٍ سُوى) أي مكان وسط ليس ببعيدٍ عنا ولا ببعيدٍ عنك و أظنّهُ بعيد وإنّما المعنى (مكان سُوى) أي مكان ظاهر لا خُفيةً فيهِ فحّورها موسى زمانياً

(قال موعدكُم يوم الزينة وأنّ يُحشرُ الناسُ ضُحى)

فأثبت موسى من قبل أن يبدأ العراك معهُ ثقتهُ بنصر اللهِ فقال (وأن يُحشرُ الناسُ ضُحى)
وأعظمُ ما يُمكنُ أن يُستنّبط في هذا المقام أن دعوة الأنبياء دعوة واضحة لا تُحاك في الخفايا فليست الدعوةُ أحزاباً سياسية ولا جماعات غير مرضية ولا غير ذالك ، وليس في دين اللهِ رؤوس وغيرُ ذالك وأمور وبرتوكولات خفية وبرتوكولات يعلمُها العامة وغير ذالك إنما دينُ الله جليٌ واضح تعبّد الله بهِ الجميع ولهذا لم يكُن عند موسى علية السلام شيءٌ يُخفيهِ في الدعوة إلى ربهِ (قال موعدكُم يوم الزينة وأن يُحشر الناسُ ضُحى)

ويوم الزينة هو اليوم الذي يجدُ الناس فيهِ في ذالك الوقت في ذالك الزمان أهلُ ذالك العصر كانٍ يوم عيدٍ لهُم لا عمل شاق لهُم فيهِ فهُم في خلوة من أعمارهم أو في فُسحةٍ من أعمارهم بتعبيرٍ أوضح فلمّا يكونون الناس في فُسحة من أعمارهم يكونون أقدر على أن يصلوا إلى المطلوب ويأتوا إلى هذا الأمر الذي سيشهدون فيهِ الصراع .

وبعضُ أهل العلم يقولون إن الأعياد المنصوصة عليها شرعاً كذكر يوم الزينة كان لفرعون وآلهِ ، والعيدُ الذي ذكرهُ اللهُ جل وعلا عن قوم إبراهيم لمّا رفض إبراهيم أن يذهب معهُم ، والعيد الفطر والأضحى التي جاءت في السُنة التي جاءت بدلاً من يوم بُعاث الذي كان عيداً للأنصار أوسً وخزرجاً في الجاهلية .

والمقصود (قال موعدكُم يوم الزينة وأن يُحشر الناسُ ضُحى) وكُلمّا كثُر حشرُ الناسُ والإتيان في رابعة النهار ضُحى والكُلُ سيُشاهدُ ويرى كان ذالك أدمغ لحُجة فرعون وأظهر وأبين لحُجة موسى وأنكى لأعداء الله وخُصومة .
(قال موعدكُم يوم الزينة وأن يُحشر الناسُ ضُحى) قال الله (فتولّى فرعون فجمع كيدهُ ثُمّ أتى)

ولا ريب أن مابين هذا اليوم الذي تواعدا فيهِ وما بين اليوم الموعدِ نفسهِ هُناك فترة زمنية وهذهِ الفترة الزمنية تسمح لناس بأن يخوضوا وللخبر أن ينتشر ويُصبح لا همّ لناس وليس هُناك خبرٌ يسلي مثل هذا الخبر فيُصبح الجميع مُهيأ لأن يصل ويُريدُ أن يعرف أين الحق لكنّ الناس حتى في معرفتهم للحق يتفاوتون قال الله جل وعلا (قال موعدكُم يوم الزينة وأن يُحشر الناسُ ضُحى فتولّى فرعون فجمع كيدهُ)

كيف جمع كيدهِ ؟

بيّنهُ الله في آيةٍ أُخرى (فأرسل فرعونُ في المدائنِ حاشرين) وبعث

بعد ذالك يأتي بالسحرة من كُل مكانٍ هذهِ الفترة الزمنية علا فيها قدرُ السحرة لأنهُم غلب على ظنّهم أن أمر فرعون أصبح بيدهم الآن القوة السياسية التي كانت بيد هامان تنحّت قليلا والقوة المالية التي بيد قارون تنحّت قليلاً وجاء دورُ من ؟ دورُ قوة الإعلام الذي كان مُتمثلاً في السحرة فأراد السحرة لأنفُسهم منازل فأرادُ أن يشترطُ على فرعون شُروطا تجعلهُم أرفعُ منزلة بعد الغلبة .
قال الله في آيةٍ أُخرى (ءإن لنا لأجر إن كُنا نحنُ الغالبين قال نعم وإنّكُم إذاً لمن المُقربين) فأعطاهُم فرعونُ وعُوده فأغراهُم بالمال وعلّو المنازل فجاء السحرة وهم مدفوعون دفعاً دُنيوياً عظيماً وجاء الناس لكنّ الناس كان الذي دفعهُم إلى أن يروا انتصار السحرة .
قال الله جل وعلا عن الناس (لعلّنا نتبعُ السحرة إن كانوا هُم الغالبين) ولم يأتوا ليعرفوا أين موطنُ الحق وأين مكمنُهُ وإنّما جاءوا لينظروا كيف تغلبوا السحرةُ موسى عليه السلام وأخاه .

قال جل وعلا (فتولّى فرعون فجمع كيدهُ ثُمّ أتى)

ومع ذالك أنبياءُ الله يبقون رفيقين بالخلق قال الله جل وعلا

(قال لهُم موسى ويلكُم لا تفترُوا على الله كذباً) أي بصنيعكُم وبردكُم لرسالة (فيُسحتكُم بعذاب)
فخوفاً من نزول العذاب عليهم حذّرهم لأنهُ لا مصلحة لنبي بهلاكِ قومهِ والأنبياء أرحمُ الخلق بالخلق وأنصحُ العباد للعباد لكن إذا أبى وأستكبر ذالك المدعو وأعرض عن الله وجعل كلام اللهِ وراءهُ ظهرياً وحقّت عليهِ كلمةُ العذاب فإن كلمة العذابُ لا تحقُ إلا على هالك فإذا هلك من هلك بعذاب اللهِ لا ينبغي لمؤمنٍ أن يأسف علية ولا يحزن لأنك لست أرحم بالخلق من ربهم .
قال الله عن أنبياءهِ أنهم يقولون عن أُممهم بعد الهلاك (فكيف آسى على قومٍ كافرين) فلا يصيبهُم آسى على قومهم بعد هلاكهم ولكن الرحمة تبقى ما زال هُناك أمل في أن يهتدوا .

(فيُسحتكُم بعذابٍ وقد خاب من أفترى)

ولا افتراء أعظم من الافتراء على لا الله جل وعلا وأعظمهُ قولُ فرعون (ما علمتُ لكُم من إلهٍ غيري) وتصديقُ هؤلاء الناس لفرعون واتخاذهُم إياه إلهٍ من دون الله .(وقد خاب من أفترى)

قال الله
(فتنازعوا أمرهُم بينهُم وأسرّوا النجوى)

أي عقدوا مجلسً خاصاً بهم يتشاورون في أمر موسى وأخيهِ في هذهِ الداهمة التي طغت عليهم
(قالوا إن هذان لساحران يُريدانِ أن يُخرجاكُم من أرضِكُم بسحرِهِما ويذهبا بطرقتكُم المُثلى)

لا يُؤثرُ في الناس شيء أكثر من خوفهم على مراكزهم أن تتبدّل وهذا معنى (ويذهبا بطريقتكُم المُثلى) وأنتهز فرعون هذهِ المسألة فأخبرهُم

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

أن ما جاء موسى وهارون إلا ليُغيروا الوضع الاجتماعي القائم وهذا حصل حتى في عهد النبوة فإنّ أبا جهل وأبا سُفيان كانوا يقولون لناس إن مُحمدً يُريدُ من الفئة المُستعبدة كبلالٍ وعمّار أن تسود وأن ترقى وأن يتغير الوضعُ الاجتماعي حتى يصدوا الناس عن دين اللهِ ولا أحد مُنتفعٌ من وضعٍ يُريدُ لذالك الوضع أن يتغير إلا أن يكون رجُلاً ربانياً لله و إلا الأصل كُلُ صاحبُ وضعٍ اجتماعي لا يُريدُ ذالك الوضع الاجتماعي أن يتغير ،، وكُلُ مُضطهدٍ في وضعٍ اجتماعي يتمنى من ذالك الوضع أن يتغير حتى يعلو مكانة .

وذالك الخارجون على أي دولة الخارجون من حيث الأنظمة السياسية المحضة في أي عصرٍ ومكان إنمّا يأتون للمغلوبين على أمرهم حتى يُغيّروا مكانتهُم والدولةُ الأموية

كمثـــــــــــال يعني :

الدولة الأموية في عصرها أُضطهد آل البيت وأُضطهد الموالي أُضطهد من ؟ أُضطهد آل البيت وأُضطهد الموالي المــــوالي الذين دخلوا في دين اللهِ من غير العرب فلمّا قامت دولةُ بني العباس قامت على ماذا ؟ قامت على هذا الخطأ الذي وقع فيهِ بنو أُمية فأكثرُ نُصراء العباسيين كانوا من مـــن؟ كانوا من الموالي فقامت دولةُ بني العباس على أكتاف الموالي وصاحبُ الفضل الكبير في قيام دولة بني العباس أبو مُسلم الخرساني ولم يكُن عربياً وإنّما كان ممنّ أستضعفهُم بنو أمية واستعبدوُهُم ولم يكُن لغير العرب سُلطان ولا شوكة في بني في عهد دولتهم حتى مسلَمة ابن عبد الملك هذا أحدُ أبناء عبد الملك كان قُرّة عين أبناء عبد الملك لكنهُ لم يُعطى الخلافة لماذا ؟

لأن أُمة لم تكّن عربية فكان الموالي مُضطهدين في عهد بني أُمية كان ذالك سبباً يُريدون للمُجتمع أن يتغير فتغير وجاء بنو العباس فلما جاء بنو العباس الآن بيدهم من ؟ آلُ البيت والموالي ولابُد أن يختاروا أحدُهُما ففرّطوا في العلويين وأبقوا بني العباس وبقي العلويين مُضطهدين حتى في دولة بني العباس وبقينا في الطرف الآخر من ؟ الموالي والموالـــي كُثر فالأعراق التي جاء منها الموالي لا تتعدد و لابُد من اختيار فئة واحده فاختار العباسيون في أول دولتهم الفُرس فقُدّم الفُرس ورُفع شأنهُم حتى وصل البرامكة إلى ما وصلوا إليهِ ثُمّ لمّا جاء المُعتصم كانت أُمهُ تُركية قلب الموازيين أبقى على الموالي لكن أيُ موالي الأتراك لأنهُم أخولهُ وأضاع الفُرس فساد الأتراك ثُمّ كُل ما جاء خليفة قرّب مواليهِ .

ولأن أخطأ الأمويون في إبعادهم للموالي واضطهادهم فإنّ خطأ بني العباس أكبر في أنّهُم اصطفوا الموالي حتى أصبح هؤلاء يُغيرون من شاء ويضعون من شاء من الخُلفاء .

والمقصودُ عموماً خرجنا كثيراً لكن القرآن يُقرأ ليُفهم أوضاعُ الناس من خلالهِ .

فكان فرعون يتخذ هذهِ المسألة أمام الناس

(قالوا إن هذان لساحِرانِ يُريدانِ أن يُخرجاكُم من أرضِكُم بسحرِهِما ويذهبا بطرقتكُم المُثلى)

قبل أن أُكمل أقف نحوياً عند هذهِ الآية التي أشكلت على العُلماء وضربوا فيها مضارب شتى لن أقول فيها شيءً جديداً لكن الاتفاق على أن إنّ تنصب وأن اسم الإشارة الأصل أنهُ مبني وأنهُ إذا ثُني يأتي منصوباً بالياء

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

يخرُج من كونهِ مبني إلى كونهِ مُعرب فأشكل على العُلماء أن هذان جاءت بالألف :
فبعضُ العُلماء قال :
أن إن هُنا مُخفّفة لا تعمل مادامت لا تعمل فأصبحت هذان مُبتدأ ولساحران خبر وينتهي الموضوع .

قال آخرون :
لا أن إن هنا وهذا وقلُ بعضُ الكوفيين إنها نافية واللام التي في لساحران ليست اللام المُزحلقة وإنّما أداة استثناء .

والمعنى عندهم ما هذانِ إلا ساحران [واضح] .
و قال آخرون غيرُ ذالك وتكلّم فيها شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمةُ الله تعالى عليهِ رغم أن الأصل أنهُ غير نحوي لكن لهُ فيها كلامٌ نحويٌ جيد .

ومال المُبرد رحمةُ الله تعالى إلى أن إنّ هنا (إن هذان لساحران) بمعنى نعم إن بمعنى نعم وهذا الحقُ أن اللغة تؤيدهُ وبتعبير أصح الاستعمال العربي يُؤيدُهُ قال عبدُ الله ابن قيس الرُقيات هذا الرُقيات ليس نسبُهُ لكنّه تغزّل بأكثر من امرأة اسمُها ؟ أجيبوا ــ رُقية . تغزّل بأكثر من امرأة اسمُها رُقية فعُرف بعبد الله ابنُ قيس الرُقيات يعني نساء كثيرات اسمهُنّ رُقية كُلُ واحده منها اسمهنّ رقيه المُهم هذا الرجُل ممّن يُستشهد بشعرهِ من حيثُ اللغة قال في بيت شعرٍ لهُ :

بكر العواذلُ في الصبوح يلمّنني و ألُومهنّه
ويقُلنّ شيبٌ قد علاك فقلتُ إنّه

إن هنا بمعنى نعم بمعنى ماذا ؟ بمعنى نعم
فقال المُبرّد وهو الأصلُ أنهُ ليس المُبرّد لبعض تلاميذهِ لكن لما أجازهُ المُبرّد نُسب إليهِ ولا يعنينا من هو القائل المُهم أنهم قالوا إنّ إن هنا بمعنى نعم فيُصبح لا خلاف في الآية نحوياً نعم هذان لساحران .
لكن رُدّ عليهِ أن نعم حرفُ جواب وليس هناك سائلٌ هنا ، من ردّ على هذا القول قالوا أن نعم حرف جواب وليس هناك سؤال وردّ الآخرون بأكثرِ من ذالك لكن أردتُ أن أدخلك في التصوّر النحوي العام لقضية إعراب هذهِ اللفظة .
(إن هذانِ لساحرانِ يُريدانِ أن يُخرِجاكُم من أرضِكُم بسحرِهِما ويذهبا بطرقتكُم المُثلى * فأجمعوا كيدكُم)حتى يكون ذالك أقوى علة قهرِ عدوّكُم
(ثُمّ أتوا صفّاً وقد أفلح اليوم من استعلى)

وبالطبع ثمّة مطامع بين أعيُنهُم مطامع تنقسم إلى قسمين :الإبقاء على الوضع الاجتماعي القائم ،، وأمل الزيادة فيهِ الإبقاء على الوضع الاجتماعي القادم الباقي والحاضر والطمع في الزيادة فيهِ لأن فرعون قال (وإنّكُم إذاً لمن المُقربين) فأعطاهُم وعوداً وإن كُنا نجزم أنهُ لو تحقق لهُم ما أرادوا ولم يتحقق ولن يتحقق لكن فرعون لن يفعل لكن على العموم هذا وعدٌ لهُم .

قال الله جل وعلا (فأجمعوا كيدكُم ثُمّ أتوا صفّاً وقد أفلح اليوم من استعلى * قالوا يا موسى)

من القائل ؟

السحرة أجتمع الناسُ الآن جاء يومُ الزينة وحضر الناسُ من كُل مكان لا بُغية لناس إلا أن يروا الانتصار وفرعونُ على الأظهر في مكانهِ مُبجلاً وموسى وأخوه معهُما ربُ العالمين وقد قال لهُما جل وعلا من قبل (أنّني معكُما أسمعُ وأرى) وموسى هو موسى الذي رُبّي من قبل أين رُبّي ؟ رُبّي في جبل الطور بماذا رُبّي ؟ (وما تلك بيمينك يا موسى * قال هي عصاي) الآن هو نفسهُ واقف وفي يمينهِ ماذا وفي يمينهِ العصا التي أخبرهُ الله جل وعلا أنها آية والله جل وعلا أخبرهُ ولا راد لحُكمهِ ولا مُعقّب على مشيئتهِ فوقف موسى كما وقف قبلُ بين يدي ربهِ والعصا في يمينهِ وأقبل هؤلاء قد أجمعوا أمرهُم صفاً وقد أفلح اليوم من استعلى.

هنا أُنيخ المطايا...

لا أحد أكرم من الله
تعلّم مما يأتي كيف تتعاملُ مع الله ؟
الله جل وعلا أرحمُ الراحمين ومعنى أرحمُ الراحمين هنا لا يُمكنُ أن يضيعُ عند الله من المعروف ولو مثقال ذرة وإذا أراد الله جل وعلا شيئاً هيأ أسبابة وهذا والله ليس من فرائد العـــــــــلم باعتبار أنهُ غريب ستجدُه لكنّهُ من فرائد العــــــــــــلم إذا طبّــــــقتهُ.
الحسنة التي دخلت هنا أن هؤلاء السحرة رغم المُغريات التي بين أيديهم أستحيُوا من موسى
(قالوا يا موسى إمّا أن تُلقي وإمّا أن نكُون أول من ألقى)

هذهِ العبارة في التلطُف مع موسى وعدم جبرهِ على الإلقاء أولاً أو عدم جبرهِ على الإلقاء أخرا جعلها الله جل وعلا سبباً في هداية القوم بهذهِ النية الطيبة التي خرجت على شكل ألفاظ قد لا يشعُرُ بها أحد لكنّها أرادها الله تمهيداً لعطاءٍ ربانيً لهُم بعد ذالك كما سيأتي .

(قالوا يا موسى إمّا أن تُلقي وإمّا أن نكُون أول من ألقى) وفي آية أُخرى (وإمّا أن نكون نحنُ المُلقين)

(قال بل ألقوا) لماذا بل ألقوا ؟

أنت تذهبُ إلى المتجر لن تستطيع أن تحكُم على أحسن وأجود ما تريدُ شراءهُ إلا إذا مررت على السوقِ كُلهِ فإذا مررت على السوقِ كُلهِ واخترت العينة التي تُريدُها وجاء أخوك يلومُك تقول ثق أن هذا أفضل ما هو معروض .
وإذا أراد اللهُ بعبدٍ خيراً أخّر ظهورهُ بين أقرانهِ حتى ييأس الناس من كُل أحدٍ ويُخرجُ أقرانهُ كُلهُم ما لديهم فإذا أراد الله بعبدٍ من دونهِم فضلاً زائداً عليهم نثر كلٌ منهُم ما في كنانتهِ وأظهر ما عندهُ ولم يبق شيئاً لم يُقدّمُه ثُمّ أخرج الله جل وعلا وليهُ الذي يُريد أن يُقدمهُ على غيرهِ فهذا حصل عيناً في قضية موسى قال لهم موسى بل ألقوا فما من حبلٍ ولا عصا إلا وألقوها وليس الأمرُ بالهين .

قال الله (فإذا حبالهُم وعِصيهُم يُخيلُ إليهِ)

إلى من ؟ إلى موسى
(أنها تسعى) وقولُ الله جل وعلا (يُخيل) يدلُ صراحةً على أنها لم تكُن تسعى وهذا سحرُ تخييل وهو أحدُ أنوع السحر المذكورة في القرآن .

//

وقد ذكر الله في القرآن سحر التخييل وصورتهُ أنك ترى الشيء على غير حقيقتهِ بما يُريدهُ الساحر أن تراه و إلا الأصل أن حقيقتهُ غير موجودة يعني حقيقة الأمر الذي تراه أنت غير موجود فهي حبال وعصي لكنّ موسى يُخيل إليهِ أنها تسعى .
وبالقطع يا بُني ما دامت تُخيل إلى موسى وأخيهِ فكيف بالعامة والدهماء الذين يحيطون بحلبة الصراع سيرون أموراً عجيبة.

وقد ذهب بعضُ المشايخ من الجامعة الإسلامية إلى أحد البُلدان الأفريقية فوجدُ رجُلاً معهُ جمل والناس يلتفون حوله ثُمّ أنهُم الرجُل هذا يدخلُ أكرمكُم الله من دُبر الجمل ويخرُجُ من فمهِ والناس ينظرون مفتونون فأحدُ هؤلاء المشايخ مع زُملائهِ رجع قليلاً بعدُ عن نفس الموقف ثُمّ قرأ آية الكُرسي وهو يُتمّمُها وقف لينظر فوجد الرجُل يدخُل بسُرعة من تحت أرجُل الجمل هو قبل قليل رآه كأنهُ يدخُل من الدُبر ويخرُج من الفم فقال لمن معهُ من زُملائهِ الذاهبين في الدعوة ما الخبر فذهبوا قرأ آية الكُرسي فرجعوا فرأوا هذا المسكين يمشي بين يدي الجمل ورجليهِ ولا يدخُلُ فيهِ أصلاً.

أصـــلاً عقلاً مُستحيل يكون دخل مُستحيل لكنهُ سحر أعيُن الناس هذا سحرُ التخييل حُجب عن هؤلاء الفُضلاء بالآية العظيمة آية الكُرسي وقد ورد في فضلها ما لا يخفى عليكُم ولا على من يسمعُ حديثي هذا والمقصود هذا سحرُ التخييل .
//
السحرُ الآخر قال الله عنهُ في البقرة (فيتعلّمون منهُما) أي من الملكين (ما يُفرّقون بهِ بين المرء وزوجهِ) فذكر الله جل وعلا سحر التفريق بين المرء وزوجهِ وأن هذا يقع لكنّ الله قال أنهُ مُقيدٌ بإذن الله تبارك وتعالى ولا يُمكنُ أن يقع شيء لا قدرياً ولا شرعياً إلا بإذنٍ من الرب تبارك وتعالى (وما هُم بضارّين بهِ من أحدٍ إلا بإذن الله) وكُلُ السحر ضرر والله يقول (و يتعلمون ما يضرهُم ولا ينفعهُم)
غايةُ الأمر أنني أجمع شتات الآيات شتات معاني الآيات فالآيات لا يُقال لها شتات في أن السحر في القرآن جاء على صورتين :
سحرُ تخييل
وسحرُ تفريق
ولا أذكرُ هناك نوعاً ثالثاً موجوداً هنا وقد ذكر بعضُ الفُضلاء أنواع أُخر لكن لا أعلمُ لها دليلاً من الكتاب .

الذي يعنينا الله جل وعلا يقول (فإذا حبالهُم وعصيُّهم يُخيلُ إليهِ) أي إلى من ؟ إلى موسى (أنها تسعى) تتحرك .

قال الله (فأوجس في نفسهِ خيفةٍ موسى)

دخل الخوفُ إليهِ رغم أنهُ يعلم أنهُ سحر وهذا باعتبار بشريتهِ لكنّ هذا يا

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

أُخي ليس مُستقراً في قلبهِ وإنما أمرٌ عارض وعليهِ تُحمل كثير من الآيات المُشابهة ليس مُستقراً في قلبهِ عليهِ السلام وإنما باعتبار الجبِلّة هو أمرٌ عارض ، هذا الأمر والخوف الحاصل في هذا المجمع لا يُمكنُ أن يُنزع ويُثبّت إلا بوحيً عظيمٍ من ربٍ كريم فأوحى الله جل وعلا إليهِ

(قُلنا يا موسى لا تخف إنّك أنت الأعلى)

أعلى منهُم لأن ما قدّمُوه تلفيقٌ وتمويه وما ستُقدّمهُ تأييدٌ من العلي الكبير وشتان ما بين ؟ ما بين الأمرين شتان ما بين الأمرين .
هذا تلفيق تمويه يخدعون به الناس أما أنت ما ستفعلهُ أمرٌ إلهيٌ مُعجزة إلهية من لدُنّ ربك .
(إنك أنت الأعلى * وألقِ) ماذا ؟ (ألقِ ما في يمينك)

قال العُلماء ذكر الله اليمين هنا من باب البركة (ألقِ ما في يمينك) ذكر الله اليمين من باب البركة واليمينُ معروفٌ فضلها بالشرع ومن دلائل فضلها أن من طرائق القرآن أن الله إذا أفرد وجعل مُقابل الإفرادِ جمع دلّ ذالكِ على فضيلة المُفرد قال الله (عن اليمينِ والشمائل سُجداً للهِ) الظُلمات والنور فأفرد النور وجمع الظُلمات وأفرد اليمين وجمع الشمائل ليُبين فضل النور وفضل اليمين مُقابل الظُلمات ومُقابل الشمائل .
قال الله (ألقِ ما في يمينك)
هذا تذكير بالشيء القديم يوم كان بين يدي اللهِ ألقى الكليمُ ما أمرهُ بهِ البرُ الرحيم فألقى عصاه .

قال الله
(ألقِ ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنّما صنعوا كيدُ ساحر ولا يفلحُ الساحرُ حيثُ أتى)

وقول الله جل وعلا (حيثُ أتى) نفيٌ قاطع كُلي لا استثناء فيهِ أن الساحر لا يُمكن أن يُفلح أبداً وأكبرُ الدلالة على أن السحرة لا يُفلحون أنهم أفقرُ الخلق أكبرُ الدلائل على أن السحرة لا يُفلحون أنهُم أفقرُ الخلق لا يستطيعون أن يحموا أنفُسهم من دورية ورجال هيئة وهم بشرٌ مثلهُم لا يملكون من الأعوان أحدٍ مثلهُم ممّا يدلُ على ضعفهم وعجزهم وحتى لو تظاهروا مرة أو مرتين أو ثلاث لا يلبثوا أن يقعُ (ولا يفلحُ الساحرُ حيثُ أتى)

ما الذي حصل ؟

قال الله في آية أُخرى (فإذا هي تلقف ما يأفكون) الكذب الذي جاءوا بهِ انقلبت هذهِ العصا إلى حية حقيقية وليست شيئاً في أعيُن الناس مُخيلاً انقلبت إلى حية حقيقية هذهِ الحية الحقيقية لديها القُدرة أن تأكُل الحبال والعُصِي وهي تراها على أنها حبال وعُصي لا تراها على أنها حيبا فأخذت تأكُلُهم ولا يعرفُ الشيء مثلُ صانعهِ وهؤلاء السحرة ينظرون وينظرون لها على أنها حية ويرون حبالهُم و عِصيهم على أنها حبال وعصي هم لا يسحرون أنفُسهم .

لكن تبّين لهم قطعاً أن ما جاء بهِ موسى ليس بسحر وأنّهُ مؤيدٌ بربهِ الآن

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

ما الذي نفعهُم بعد الله تلك الكلمة الطيبة يوم أن قدّموا أنهُم أنصفوا موسى بقولهِم (إمّا أن تُلقي وإمّا أن نكون أول من ألقى) وفرعون يسمع لكن لشيءٍ أرادهُ الله حتى يُتمّ الله عليهم النعمة وإذا أراد الله جل وعلا شيءً هيأ هيــأ أسبابه .

أُنظر إلى هاجر أين كانت هاجر ؟
خادمة عن ملكٍ كافر وسارة من أجمل نساء العالمين أقربُ الناس شبهاً بأُمنا حواء فجاء الفاجر ليفعل بها ونُحّي إبراهيم فجلس إبراهيمُ يدعو وجلست سارة تدعو في حديثٍ صحيح تقول { اللهم إن كُنت قد آمنتُ بك وبرسولك وأحصنتُ فرجي إلا على زوجي فاحفظني } فحفظها الله فلمّا حفظها الله شُلّ ذالك الفاجر أُعيق فقال لها أدعُ لي ولا أضُرك فدعت لهُ فلمّا عاد واطمئن عاد مرةً أخرى فرجعت إلى دُعائها فردّهُ اللهُ عنها فدعت مرةً أخرى فقال لمن أتى بها إنك لن تُدخلني على امرأة إنما أدخلتني على شيطان ثُمّ فُتن بجمالها وجاء في نفسهِ أن هذا الجمال مُحال أن يخدم نفسهُ بنفسهِ قال أعطوها هاجر ، من هاجر؟
جارية عند كافر ظالم فأُعطيت هدية لمن ؟ لسارة فخرجت هديةً جاريةً لسارة تخدمُها ثُمّ يقع في سارة يُؤخّر حملُها مولا تحمل حملت جابت إسحاق لكن يُؤخّر حملُها حتى يُصبح في قلب سارة حزن على زوجها إبراهيم أن ليس لهُ ولد فتطلُب منهُ أن يدخُل على جاريتها هاجر بعد أن وهبتُها إياها فيدخلُ إبراهيم على هاجر فيُولد من هذهِ الجارية التي هي بالأمس خادمة عند ملكٍ كافر يخرُجُ من هذا الرحم أبٌ لسيد الخلق صلى الله علية وسلم مُحمد ابنُ عبد اللهِ وهو إسماعيل جدُ العرب جد نبينا صلى الله علية وسلم .

فأنظُر إذا أراد الله بعبدٍ فضل كيف تجري الأقدار لو كان قدّر الله أن سارة حملت بإسحاق لما طلبت سارةُ من إبراهيم أن يدخُل على هاجر لكن أخر حملُ سارة من إبراهيم حتى يدخُلُ إبراهيمُ على هاجر فيكونُ من هاجر إسماعيل ويكونُ من إسماعيل مُحمد صلى الله علية وسلم .

والمقصود هؤلاء رُزقوا خطابً حسناً وحتى رزق الخطاب هذا ممّن ؟ هذا فضلٌ من الله لكن حتى تعلم أن الأمور لها أسباب تجري على نسقٍ واللهُ يقول ُ في هذا حقً وفي أمثالهِ (وما يعقلُها إلا العالمون).

وهذهِ نفائسُ العلم التي تُبنى عليها أحداثُ الزمن ومرور الأيام وكيفية اجتثاث العبر والدراية بأحوال الخلق وأن هناك ربٌ لا رب غيرهُ ولا إله سواه يحكُمُ في خلقهِ ما يشاء ويفعلُ ما يُريد .

نقول بعد هذا كُلهِ ماذا حصل ؟

قال الله (فأُلقي السحرةُ سُجّداً قالوا ءامنّا برب هارون وموسى)

طبعاً السحرة ما كانوا واحد أو اثنين كانوا كثيرين منهُم من قال (ءامنا برب العالمين) ومنهُم من قال (ءامنا برب موسى وهارون) ومنهُم من قال (ءامنا برب هارون وموسى)
لم يُعقل لم يعتقدوا أبداً أنهُم سيُؤمنوا حتى نقول اتفقوا على كلمة واحدة فأختلف التعبير وبكُل تعبيرٍ ورد القرآن وبكُل تعبيرٍ ورد القرآن ذكر الله جل وعلا المواطن كُلها أو الطرائق التي عبّر عنها السحرة .

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

قال ابنُ عباس رضي الله تعالى عنهما فيما نُقل عنه كانوا أول النهار كفرةً سحرة وأصبحوا أخر النهار شُهداء بررة .

ولهذا لا ييأسُ أحدً من هداية أحد ولا يدري أحدٌ أين الخواتيم

يخرجون من دُرهم من بيُوتهم يُمنّون أنفُسهم بالعطايا الدنيوية ويُريدون أن يُحاربوا الله ورسوله ثُمّ لا يلبثوا أن يُؤمنوا ويخرّوا ساجدين هذا السجود كما سيأتي في اللقاء القادم أورثهُم عزةً ومنعه لماذا؟
مرّ معنا أن الإنسان لا يُمكنُ أن يكون في وضعٍ هو ذليلٌ فيهِ أعظم من ذلة السجود وكُلّما ذللت نفسك بين يدي الله كُنت منهُ قريباً فلمّا ذلّوا أنفُسهم وسجدوا أورثهُم الله بذالك السجود الذي سجدوهُ لهُ عزة وإباء ومنعة فلمّا هدّدهم فرعون لم يكُن مُبالون بتهديدهِ (فأقضِ ما أنت قاضِ إنّما تقضِ هذهِ الحياة الدُنيا) أربعون عاماً وفرعون يُرسّخ فيهم انهُ رب وأنهُ إلهِ وأنهُ يقتُل ويبطُش كُلهُ مُحي بسجدة وربُما لم تتجاوز دقائق معدودات لأن الموروث الذي أخذوه من فرعون هباء منثور وإن كان لهُ حقيقة .
أما ما أخذوه من عطاءٍ إيماني ونورٍ قلبي من الله هذا يثبُت يقول الله جل وعلا (يهدي الله لنورهِ من يشاء) ولهذا قال صلى الله علية وسلم { أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربهِ وهو ساجد وقال أما وأني نُهيتُ أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجدا أما الركوع فعظّموا فيهِ الرب وأما السجود فأكثروا فيهِ من الدُعاء فقمنٌ ــ أي جديرٌ وحقيقٌ ــ أن يُستجاب لكُم }

وهذا نختمُ بهِ هذا اللقاء لأن ما بعدهُ مُتواصلُ الأحداث يحسنُ أن نقف عند حكاية الله جل وعلا عند إيمان السحرة (قالوا ءامنا بربِ هارون وموسى)
هذا اليوم كان يوم الزينة فأبدلهُم الله جل وعلا بأن نجّاهُم في يوم في يوم عاشورا الذي صامهُ موسى و بنو إسرائيل من بعدهِ ثُم صامهُ نبيُنا صلى الله علية وسلم .

أيُها الأخُ المُبارك جُملة ما قُلناه أيُها الابنُ الصالح جُملة ما قُلناه

أن الله جل وعلا أخبر في هذهِ الآيات التي بين أيدينا أنهُ أظهر الآيات وأقام الحُجج والبراهين على فرعون لكن فرعون أستكبر آية بعد آية وهو يرُدُها ثُمّ وقع منهُ حفاظاً على الوضع الاجتماعي القائم عنده أن يُخوّف الناس وتواعد مع موسى على يوم هو الذي عرضهُ فأجابهُ موسى ثُمّ كان ما كان من عرض الأمرين وقُلنا إن من الخير لك أن لا تبدأ أحد بنقاش حتى لا تشعُر بالغلبة وإنّما أطلُب من غيرك أن يعرض ما عنده حتى لا يكون ما عندك القصدُ بهِ العلو على الناس .
فنصر الله جل وعلا كليمهُ وأخاه فأثر ذالك في من يعرفُ الحق وهم السحرة ولا يُعلم أن أحداً من القبطيين الذين شهدوا ذالك النزاع آمن لأنهم خرجوا من عند بيوتهم وليس في نيتهم الإيمان ولم يقع في قلبهم البحثُ عن الحق (قالوا لعلّنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) فكانت منّة الله على السحرة دون غيرهم من الناس وقد قدّمنا أن ابن عباسٍ قال " كانوا في أول النهار كفرة سحرة وفي أخر النهار شُهداءُ بررة"
وقُلنا إن في هذا بيانٌ لفضل الله ورحمتهِ بالخلق وأنه لا يُدرى أين الخواتيم
ختـــــــــــــم الله لنا ولكم بخير
هذهِ جُملة ما تحدث عنه الآيات في سورة طه

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

نسألُ الله لنا ولكم التوفيق والمزيد من العون والرعاية وسنُكملُ إن شاء الله في لقاءٍ قادم خبر هذا النبي الكريم مع فرعون نسألُ الله التوفيق وأن يُعلّمنا ما ينفعُنا وأن ينفعنا بما علّمنا

هذا ما تهيأ إيرادُهُ ويسر الله جل وعلا على قولهِ سُبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلامٌ على المُرسلين والحمدُ لله رب العالمين وصلى الله على مُحمدٍ وعلى آلهِ والحمدُ للهِ رب العالمين كرةً أخرى ....

بسم الله الرحمن الرحيم

أن الحمد لله نحمدهُ و نستعينهُ ونستغفرهُ ونعوذُ بالله من شرور أنُفسنا وسيئات أعمالنا من يهدهِ الله فلا مُضل له ومن يُضلل فلن تجد لهُ ولياً مُرشدا ،

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له أراد ما العِبادُ فاعلوه ولو عصمهم لما خالفوه ولو شاء أن يُطيعوهُ جميعاً لأطاعوهُ ،

وأشهدُ أن سيدنا ونبينا مُحمدً عبدهُ ورسولهُ صلى الله علية وعلى آلهِ وأصحابهِ وعلى سائر من أقتفى أثرهُ وأتبع منهجهُ بإحسانٍ إلى يوم الدين ....

أما بعد

فهذا لقاءٌ مُباركٌ مُتجدد نتفيأُ فيهِ معكم دوحة القُرآن وكُنا قد انتهينا إلى قول الله جل وعلا على لسان السحرة (فأُلقي السحرةُ ساجدين) قال الله جل وعلا أخبر فيها أن السحرة آمنوا (قالوا آمنا بربِ هارون وموسى).

وحدث هذا التلعثُم في القول الآن لأن قضية السحرة والإيمان وردت في عدة صيغ بإيمان السحرة فردُ السحرة بالإيمان جاء في القرآن

(آمنا بربِ العالمين ربِ موسى وهارون)

وجاء (بربِ هارون وموسى)

وجاء (برب موسى وهارون)

وينبغي أن يُعلم قبل أن أنتقل لما بعدهُ لأن هذا كُنا قد وقفنا عليهِ في اللقاء الماضي أن السحرة كثيرون فطبيعيٌ جداً أن يختلف بعضُهم مع بعض في قضية ماذا يقولون فهُم جميعاً آمنوا بإلهٍ واحد هو ربُ العزة والجلال لكن التعبير عن هذا الإيمان اختلف لتعدُدهم فبعضُهم قالوا (آمنا برب موسى وهارون) وبعضُهم قال (آمنا بربِ هارون وموسى) قدّم هارون باعتبارهِ الأكبر ومنهم من قال (آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) .

لكن الذي يجمعُ هؤلاء السحرة أنهم جميعاً آمنوا بالرب تبارك وتعالى .

هذا الأمر وقع على ملأً من الناس وكان قد مرّ معنا أن موسى علية الصلاةُ والسلام لا يُخفي شيئاً عن الناس في دعوتهِ وقُلنا إن من سماتِ الأنبياء وأتباعهم أنهم يدعون جهارا ولا يخشون أحدً بمعنى أنه ليس هُناك شيء يُبيتونهُ لأنفُسهم حتى يضعون دينهم في الخفاء ولهذا قال (موعدكُم يوم الزينةُ وأن يُحشروا الناسُ ضُحى)

فكانت دعوتهُ جهاراً بينا حصل الموقف ألقى السحرة ألقى موسى عصاه كما أخبر الله (فإذا هي تلقفُ ما يأفكون)

انتهينا إلى قول الله جل وعلا

(قالوا آمنا بربِ هارون وموسى)

لما آمنوا انقلبوا من كونهم في أول النهار كفرةً أشرار إلى كونهم أتقياء أبرار وهذا يدلُ على أن الهداية بيد الله .
هذا ما انتهينا إليهِ ....

نبدأُ اليوم بقول الله جل وعلا على لسانِ فرعون (قال ءامنتُم لهُ قبل أن ءاذن لكُم إنّهُ لكبيرُكُم الذي علّمكُمُ السحر فلأُقطعنّ أيديكُم وأرجُلكم من خلاف ولأُصلّبنكُم في جذوع النخل ولتعلمُنّ أيُنا أشدُ عذابً وأبقى)

هذا القول ردة الفعلِ الفرعونية إلى اليوم والناس في حياتهم الاجتماعية إذا رأوا رجُلاً مُتغطرساً يقولون فرعوني وهذا مأخوذة من دأب فرعون قول فرعون من سياستهِ لناس .
فرعونُ ما كفاه أن يدّعيَ أنهُ إله (ما علمتُ لكُم من إلهٍ غيري)

وقد جاء في الأثر أن جبريل قال لنبي صلى الله علية وسلم "" ما أبغضتُ أحدً بُغضي لفرعون يوم سمعتهُ يقول (ما علمتُ لكُم من إلهٍ غيري) ""

فرعون لما آمن السحرة من كذب على الله هينٌ عليهِ أن يكذب على الخلق ولهذا قال (ءامنتُم لهُ) همزة من أصل الفعل وهمزة استفهامية (قبل أن آذن لكُم) حتى الإيمانُ بالله في ظنّهِ يحتاجُ إلى أن يستأذنوه ومعلومٌ أن فرعون حتى لو استأذنوه لن يأذن وهم غيرُ مُلزمين شرعاً لأن يستأذنوه لكن حتى لو استأذنوه فإنهُ لن يأذن لهم .

(قال ءامنتُم لهُ قبل أن آذن لكُم) وهذا يدلُ على علوهِ وتكبُرهِ (إنهُ لكبيركُم الذي علّمكُم السحر) فانظُر كيف قلب الأمر جعل موسى مُعلماً لهم ويعَلمُ فرعون أن موسى ما كان ساحراً طرفة عين وأنهُ هو الذي بعث في المدائن حاشرين يأتوه بكُل سحّارٍ عليم لكنّهُ كما قُلنا من تجرأ في الكذب على الله بدهيٌ أن يكذب على غيرهِ ولهذا قال هرقل لأبي سُفيان في قضية مُحاورتهما في أرضِ هرقل قال لهُ عن النبي صلى الله علية وسلم أجربتم عليهِ كذبا ؟ قال: لا ، قال هرقلُ بعقلهِ لا بنقلهِ قال ما كلن ليتُرك الكذب على الناس ويكذبُ ويـكذبُ على الله وجعل ذالك أمارةً على صدقِ نبوة نبينا صلى الله علية وسلم .

(إنهُ لكبيركُم الذي علّمكُم السحر)
هذا وصفٌ من فرعون لهُ ثُم أجرى مجرى التهديد الفعلي بعد أن ذكر التهديد القولي قال (لأُقطعنّ أيديكُم وأرجُلكُم) وجاءت أيديَ بالنصبِ لأنها مفعولٌ بهِ وظهرت العلامةُ على الياء (فلأُقطعن أيديكُم وأرجُلكُم من خلاف) وهذا نوعٌ من التهديد 0(ولأُصلبنّكُم) والصلبُ الرفع والحمل ويكونُ غالباً على ألواحٍ وخشب (لأُصلبنّكُم في جذوع النخل) ومعلومٌ قطعا أن الصلبُ هُنا إنما كان على جذوع النخل .

قال بعضُ العلماء كأبي حيان في البحر المُحيط قال : إن فرعون نقر لهم في النخل وأدخلهُم فيهِ وهذا القولُ منهُ ليفرّ من قول الله جل وعلا على (جذوع النخل) لكن هذا القول أكثرُ أهل العلم على خلافهِ وإنما كان ينبغي أن يُعلم أن حروف الجر في اللُغة ينوبُ بعضُها عن بعض هذا واحد .
الأمر الثاني :
قال بعضُ من يُعنى باللُغة في القرآن قال (لأُصلبنّكُم في جذوع النخل)

ليُبين يُسر الأمر عليهِ ليُبين يُسر الأمر عليهِ يعني أراد فرعونُ أن يقول إن كوني أنني قادرٌ على أن أُصلبنّكُم في جذوع النخل أمرٌ هينٌ علي لأن كلمة على تعني الفوقية تعني الاستعلاء كأنهُ يحتاجُ إلى من يُعينهُ إلى أن يرتفع فحاد عنها فرعون طبعاً حاد عن مثيلها هي ليس عندهُ في عُرفهِ في لُغتُهُ لكن حاد عن مثيلها في لُغتهِ وإنما عبّر بالحرف الجر في ليُبين سهولة الأمر عليهِ (لأُصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمُنّ أيُنا) يعني أنا وأنتُم (أشدُ عذاباً وأبقى)
وهذهِ زفرات يُطلقُها ذالك الذي لعنهُ الله كردةِ فعلٍ يائسة لما رأى من إيمان السحرة (ولتعلمُنّ أيُنا أشدُ عذابً وأبقى)

مرّ معنا في تفسير سورة القلم أن السجود من أعظم ما ينالُ به العبدُ عظيم اليقين وهذهِ الأحداثُ شاهدةٌ علي ذالك قال الله جل وعلا على لسان السحرة لما هددهم فرعون وهذا كُلهُ في أرض الموقف في أرض المُجادلة قالوا له بعد أن قال (ولتعلمُنّ أيُنا أشدُ عذاباً وأبقى) قالوا (لن نؤثرك على ما جاءنا من البيّنات والذي فطرنا) فألقى الله جل وعلا في قلوبهم الإيمان واليقين ووجدوا حلاوتهُ رغم أنهم ليس لهم أيامٌ ولا شهور ولا أعوام من بابٍ أولى في الطاعة والإيمان والعمل الصالح لكن تلك الحضوة الإلهية نالوها ببركة سجودهم حتى يُعلم أثر العمل الصالح على قلب العبد حتى يُعلم أثر العمل الصالح على قلب العبد .
(قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا) ثُم ردوا عليهِ بطرقته كما كان يُطلق الأفعال على صيغة الأمر قالوا لهُ (فأقض) أي فأنهي (ما أنت قاضٍ) ثُم بينوا لهُ ضعفه (إنما تقضِ هذهِ الحياة الدُنيا) قد يكونُ أن الله أعطاك سُلطان على الدُنيا لكن ليس لك سُلطانٌ على حياتنا في الآخرة والدُنيا قضيت علينا أم لو لم تقضي علينا فمردُنا أصلاً إلى الموت فلا نُخوفُ بشيء لكن العبرة بالحياة الأُخروية (فأقضِ ما أنت قاضٍ إنما تقضِ هذهِ الحياة الدُنيا)
وجاءت الحياةَ بالنصب لأنها بدلاٌ من اسم الإشارة هذهِ وهذهِ قاعدة نحوية تأتي معك دائماً كلُ اسم مُعرفُ بال بعد اسم الإشارة يُعربُ بدلاً عنه كلُ اسم مُعرفُ بال بعد اسم الإشارة يُعربُ بدلاً عنه فما يُقالُ في إعراب اسم الإشارة الذي قبله يُقالُ في إعراب الاسم الذي بعده وهذا نظيرهُ (إنما تقضِ هذهِ الحياة الدُنيا) أي بهِ (الحياةَ) نيابة عن هذهِ بدلاٌ عنها (إنما تقضِ هذهِ الحياة الدُنيا)
ثُم قالوا
(إنا ءامنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليهِ من السحر)
وعبارة الإكراه هُنا مأخوذة من أن فرعون سوّل لهم هذا الأمر بأن مناهم ووعدهم وقال (إنكمُ إذاً لمن المُقربين) فاعتُبر هذا شرعاً نوعاً من الإكراه .

قال الله جل وعلا (وما أكرهتنا عليهِ من السحر) ثُم قارنوا بينهُ وبين فرعون بين ربهم وبين فرعون قالوا (والله خيرٌ وأبقى) ولا ريب أن الله خيرٌ وأبقى .

وهذهِ منهاج للمؤمن في كُل ما يأتيهِ ما يكونُ فيهِ شيء يتعلق بالله وما فيهِ يتعلّق بالمخلوقين فتق أن ما عند الله جل وعلا خيرٌ لك وأبقى وهذهِ من الطرائق التي ربى الله جل وعلا بها رُسُلهُ عليهم الصلاةُ والسلام وهذّبهم بها وثبت قلوبهم جل وعلا بها أنهُ أعلمهم أن الآخرة هي الباقية هي التي يعملُ الخلقُ لها.
قال صلى الله علية وسلم لما رأى الأنصار والمُهاجرين يبنون مسجده }

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمُهاجرة }

وهذا أمرٌ يستحضرهُ المؤمن وقد مرّ معكُم رُبما قُلتُ لكم من قبل أن العلامة الألباني رحمهُ الله لمّا بُشّر بفوزه بجائزة الملك فيصل العالمية أراد بعضُ الصحفيين أن ينال حضوةً عندهُ بأن يُجري لهُ مُقابلة صحفية ومعلومٌ أن جائزة الملك فيصل جائزةٌ عالمية يرقبُها كُل عالمٌ في خدمة الإسلام أو في غيرهِ فلمّا بُشّر بها قال الشيخُ وهو يبكي هاتفياً (والله خيـــــــــــرٌ وأبقى) ثُم قال (وللآخرةُ خـــــــــيرٌ لك من الأُولى) .

فمهما أُعطي الإنسانُ من الدُنيا ينبغي عليهِ أن يستحضر هذا الأمر العظيم وأن ما عند الله خيرٌ وأبقى حتى لا يُفتن بما أعطاهُ الله جل وعلا في الدُنيا (والله خيرٌ وأبقى)

(إنهُ من يأتي ربهُ مُجرماً) هذهِ مُمكن أن تكون من كلام السحرة المؤمنين ومُمكن أن تكون تذييل من كلام الله جل وعلا تحتملُ الأمرين (إنهُ من يأتي ربهُ مُجرماً)
أي كافرً (فإن لهُ جهنم لا يموتُ فيها ولا يحيَ) وهذا أحدُ كُنى عذابُ جهنم أن القضية فيها أن الإنسان لا ينتهي وفي نفس الوقت لا يبقى حياً حياةً مُنعمة .

ثُم الأمر الثاني ذكرهُ الله في سورةٍ أُخرى (قالوا سواءٌ علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص)

متى ينفع الصبر ؟

إذا كان يُعينك على تجاوز الأذى لكن إذا كان الصبرُ لا ينفع يُصبح في ذاتهِ عذاب وهذا والعيـــــــــــاذُ بالله حالُ أهل النار قال الله جل وعلا (إنهُ من يأتي ربهُ مُجرماً فإن لهُ جهنم لا يموت فيها ولا يحيَ)

وكما في سياق القرآن في أكثرِ من موضع إذا ذكر الله أهل النار يذكرُ أهل الجنة وإذا ذكر أهل الجنة غالباً يذكرُ أهل النار فبعد أن ذكر الله مصير المُجرمين قال (إنهُ من يأتي ربهُ مُجرماً فإن لهُ جهنم لا يموت فيها ولا يحيَ) وهذهِ نحوياً جُملة شرطية بدأت بمن وهي أسمُ شرط لذالك يأتي بعدها حُذفت ياؤها

لماذا حُذفت الياء ؟

لأنها واقعة فعلُ شرطٍ جُزم وعلامةُ جزمهِ حذفُ حرف العلة

وقولهُ سُبحانهُ (فإن لهُ جهنم) هذهِ يا بُني الفاء واقعة في جواب الشرط واقعة في جواب الشرط وسوّغ الإتيان بالفاء أن جواب الشرط جُملةٌ أسمية سوّغ أن يبتدأ جوابُ الشرط بالفاء أن جواب الشرط جُملةٌ أسمية .

(إنهُ من يأتي ربهُ مُجرماً فإن لهُ جهنم لا يموت فيها ولا يحيَ * ومن يأتهِ مؤمناً)

أي حال كونهِ مؤمناً (قد عمل الصالحات فأُولئك لهم الدرجاتُ العُلى)

الجنة والنار كلاهُما يُقال في حق أهلها درجات لكن تنفرد النار أن يُقال في حقها دركات فيُقال لأهل النار درجات نصّ عليهِ القرآن في الأنعام لكن لا يُقالُ لأهل الجنةِ دركات وإنما دركات وقفٌ على أهل ؟ على أهل النار .

(ومن يأتهِ مؤمناً قد عمل الصالحات فأُولئك لهم الدرجاتُ العُلى جناتٌ عدنٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها وذالك جزاءُ من تزكى)

ومرّ علينا معنى التزكية بالتفصيل في قول الله جل وعلا (قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دسّاها)
(فأُولئك لهم الدرجاتُ العُلى جناتٌ عدنٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها وذالك جزاءُ من تزكى)

ثُم قال الله جل وعلا أخبر عن نبيهِ موسى قال
(ولقد أوحينا إلى موسى أن أسرِ بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخافُ دركاً ولا تخشى)

ذكر الله جل وعلا هنا خروج موسى من أرض مصر وجاء الخروج في " طه " موجز وفُصّل في الأعراف وفي يونس وفي غيرهما والقُرآن سمّاهُ اللهُ جل وعلا مثاني بمعنى أن الأخبار والقصص فيهِ غالبً فيهِ تكرر فما يوجزهُ الله في سورة يُبسطهُ الله في سورةٍ أخرى وأحياناً يكتفي الله جل وعلا بالبسط في سورةٍ واحده ولا يُثنيها كما في قصة نبي الله يوسف فإنها لم تكرر في القرآن بخلافِ قصة موسى فإنها مرت في أكثر من موضع في كُل موضعٍ تُساق حسب السياق العام لسورة .

قال الله جل وعلا (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسرِ بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً)
(أن أسرِ) دلّ على أنهم خرجوا ليلاً لأن السُراء لا يكونُ إلا في الليل (فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً) والضرب هنا حقيقة وهو أن موسى علية الصلاة والسلام ضرب البحر بعصاه (فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً) البحر بالاتفاق بحر القلزم المسمى اليوم بالبحر الأحمر (فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخافُ دركاً ولا تخشى)
ومعنى الآية
(لا تخافُ دركاً) أي لا تخافُ أن يُدركك فرعون (ولا تخشى) أي لا تخشى غرقاً من البحر فلا فرعونُ يُقدّر لهُ أن يُدركك هو وجُندُهُ ولا البحرُ قادرٌ على أن تكون غريقاً فيهِ وإنما سيُنجيك ربُك من إدراكِ فرعون ومن موج البحرِ وما يكونُ فيهِ من الغرق والهلاك (لا تخافُ دركاً ولا تخشى) هذا جاء مُفصلاً ولعلهُ يأتي.
لكن جُملةً نقول :إن موسى أخذ قومهُ لما وصل إلى شط البحر قال أصحابُ موسى (إنا لمُدركون * قال كلا إن معي ربي سيهدين) فأمرهُ الله بأن يضرب البحر وضربهُ قائلاً أنفلق يا أبا خالد وهي كُنيةٌ تقولها العرب للبحر وورد والعلمُ عند الله انهُ قال" بسم الله ولا حول ولا قوةً إلا بالله اللهم لك الحمد وإليك المُشتكى وأنت المُستعان " فانقلب البحرُ

يبساً كما أخبر وأنشق اثني عشر طريقاً على قدرِ أسباطِ بني إسرائيل فعبر موسى والمؤمنون الذين معه حتى انتهوا إلى الضفة الأخرى .
جاء فرعون تردد في العبُور وقد مرّ هذا معنا تردد في العُبور لكنهُ بقي ينتظر خوفاً من أن يعود البحرُ بحرا فلما وصل موسى والمؤمنون الذين معهُ إلى الضفةُ الأخرى وأطمئن موسى أنهُ قد سلم وأن فرعون يُحاولُ أن يُدركهُ أراد أن يضرب البحر كرةً أخرى ليعود بحرا فيقطع الطريق على فرعون فأوحى إليهِ ربُ العزة (واترُك البحر رهوا) هذا في الدُخان أي سكاناً فبقي البحرُ سكاناً فامتنع موسى عن ضربهِ بأمر الله تشجع فرعون ليُهلكهُ الله جل وعلا على أن ظنّ أن البحر سيبقى أبدياً على هذهِ الحال عبر هو وجنُودُه فلما أكتمل بقائهم في البحر أمر الله البحر أن يعودُ بحرا فأُغرق فرعون فقال (أمنتُ أنهُ لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل) ولم يقُل آمنتُ بالله وإن كان إيمانهُ صحيحاً فالله جل وعلا قال أهلُ العلم اثبت الإيمان لفرعون لكنه لم يقبلهُ منه قال الله (ألآن وقد) ذكر أنهُ قبل لم يكُن على هذهِ الحال (ألآن وقد عصيت قبلُ وكنت من المُفسدين)

وقد جاء في الآثار أن جبريل علية السلام كان يضعُ الطين في فم فرعون مخافة أن يقول فرعون كلمة يستدرّوا بها رحمة الله.

وقد مرّ معنا كثيراً في دروسنا أن رحمة الله جل وعلا لا تُستجلبُ بشيء بعد الإيمان والعمل الصالح بأكثر من دعوة أو أكثر من مدحٍ أو ثناءٍ على الله يستدرُ بها العبدُ ما عند الله جل وعلا فإن الرب تبارك وتعالى لا أحد أحبُ إليهِ المدحُ من نفسهِ ولذالك مدح ذاتهُ العلية وهذا أمرٌ مُشاهدٌ في الكتاب والسُنة فإنهُ كم من عبدٍ صالحٌ ذكر الله جل وعلا دعوتهُ كدعوة ذي النون .
وكقولهِ صلى الله عليهِ وسلم لما سمع عبدً يقولُ في دُعائهِ " اللهم لك الحمدُ حمداً كثيراً طيباً مُباركاً فيهِ " أخبر علية الصلاةُ والسلام أن هذهِ الكلمات أعجزت الملكين .
والمقصودُ من هذا أن الله جل وعلا تُستدرُ رحمتهُ وتُستجلبُ ما عندهُ من الفضل والإحسان بكثرة الثناء عليهِ و انكسارِ العبدِ بين يديهِ وهذا الأمر كان مظنة أن يأتي فرعون و إلا لو تقرر عند جبريل أن الله لن يرحم فرعون قطعاً مهما قال ما كان هناك حاجة لأن يضع جبريُلُ الطين في فم فرعون .

وهذا يدلُ على أن رحمة الله جل وعلا واسعة وانهُ لا يهلكُ على الله جل وعلا إلا هالك وإن العاجز حقاً من لم يجد ألفاظً ولا كلمات يُعبرُ بها عن مسكنتهِ وانكسارهِ بين يدي الرب تبارك وتعالى وتعظيمُك للهِ جل وعلا لابُد أن يُلازمهُ عدم مُبالغتك في الخلق ولهذا تخرُجُ منا أحياناً من غير شُعور كلمات نقُولها لمن نُحب فيها التعظيم دون أن نشعُر فيسمعُ البعض إذا ألقى كلمة في محفل أو أمام أميرٍ أو ذي سُلطانٍ يقول إن الكلمات تقصُر وأن العبارات تعجز وهذا خطأٌ محضٌ بل خطأٌ عظيم لأن الكلمات العربية إذا وسعت كلام الله من باب أولى أن تسع غيرهُ إذا وسعت ألفاظ العربية مدح الرب جل وعلا فمن باب أولى وأحرى تسع مدح غيرهِ.
لكن الناس إذا وصلوا إلى من بيدهِ العطايا أومن يُخشى منه نسو شيءً من جانبً نسو أمراً من جانب الله لكن الإنسان يكونُ متوازن يعرفُ لأهل القدرِ قدرهم ولأهل الفضلِ فضلهم لكنهُ يبقى مُعظماً التعظيم المُطلق لرب تبارك وتعالى .

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

يقول حافظ عن اللُغة العربية :

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغايةً * وما ضقتُ عن آيً بهِ وعظاتِ**
فكيف أضيقُ اليوم عن وصف آلةٍ * وتنسيق أسماءٍ لمُخترعاتِ**

والمقصود أن الله جل وعلا جعل قُرآنهُ بلسانٍ عربي الذي فيهِ الثناء على ذاتهِ العطرة على ذاتهِ جل وعلا فكيف بالثناء على المخلوقين من باب أولى أن تتسع اللُغة ويوجد من العبارات والألفاظ ما نمدحُ بهِ من نُحب أو نُجلّ أو نُعظّم أو نخشى .

المقصودُ من هذا كُلهِ أن نبي الله موسى عليهِ الصلاةُ السلام عبَر بقومهِ بعد أن عبر بهم البحر أصبحوا أين ؟
في أرض سيناء أصبحوا في أرض سيناء .

قال الله جل وعلا : (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسرِ بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخافُ دركاً ولا تخشى)
ما فصّلناه قالهُ الله 0 (فاتبعهُم فرعون بجنودهِ فغشيهم) غشي بمعنى غطى غـطى من ؟
غطى فرعون وأهله
(فغشيهم من اليم ما غشيهم)
وإذا جاءتك هذهِ الفعل ثُم بعدهُ ما هذهِ مُرتبطة بالفعل الذي بعدها لتُسمى ما المصدرية أو ما الموصولة أحياناً وهذا خلافٌ بين النُحاة فأعلم أن المقصود التعظيم ومنهُ قولُ الله جل وعلا (إذ يغشى السدرة ما يغشى) هذا أسلوب تعظيم أسلوب تفخيم أسلوب تهويل
فالله يقول هنا (فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعونُ قومهُ وما هدى)

منّ الله على بني إسرائيل بعد ذالك يقولهِ:

(يا بني إسرائيل قد أنجيناكُم من عدوكم وواعدناكُم جانب الطور الأيمنَ ونزلّنا عليكُم المنّ والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكُم ولا تطغوا فيهِ فيحلّ عليكُم غضبي ومن يحلل عليهِ غضبي فقد هوى)

يا بني إسرائيل إسرائـيل يعقوب ابنُ إسحاق ابنُ إبراهيم وهذهِ مُلاطفة من العلي الكبير في خطابِ أولئك القوم فنسبهم إلى جدهم الأكبر الذي يُنسبون إليهِ وهو نبيُ الله ابنُ نبي اللهِ ابنُ خليل الله عليهم جميعاً أفضل الصلاةُ والسلام .
والربُ تبارك وتعالى يُنادي عباده إما أن يُنسبهم إلى أب عام كآدم أو أبٍ خاص كيا بني إسرائيل أو يُناديهم نداء كرامة وهذا أكثرُ الآيات المدنية عليه كقول الله جل وعلا (يا أيُها الذين آمنوا) فهذا يُسمّى نداء كرامة أو نداءً عاماً لا يُنسبون فيهِ إلى أبٍ ولا يُذكرون فيهِ بكرامة وإنما نداء عام ومنهُ قول الله جل وعلا (يا أيُها الناسُ اتقوا ربكُم إن زلزلة الساعة شيءٌ عظيم) فقول الله جل وعلا (يا أيُها الناس) هذا نداء عام يدخُلُ فيهِ البر والفاجر والمؤمن والكافر ولا يُمكنُ أن نصطلح على أنهُ نداءُ كرامة بل هو نداءٌ عام وقُلنا (يا أيُها الذين آمنوا) هو نداء كرامة ،

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

قُلنا مُلاطفة (يا بني إسرائيل قد أنجيناكُم) يمّنُ اللهِ جل وعلا على بني إسرائيل بما كان من نجاتهم من فرعون (قد أنجيناكُم من عدوكم) الذي هو فرعون (وواعدناكُم جانب الطور الأيمنَ ونزلّنا عليكُم المنّ والسلوى)
الطور كم طور فيهِ ؟
واحد كم جبل طور ؟ واحد
الأيمنَ جاءت منصوبة والطور جاءت مجرورة لأنها مُضاف إليهِ هذهِ
تأملـــــــــــــــها جيداً
(جانب الطورِ الأيمنَ) فالأيمن ليست صفة لماذا ؟ لطور وإنما صفة لماذا للجانب ، الأيمن صفة للجانب ليست صفة لطور لأنها لو كانت الأيمن صفة لطور معناه هُناك طور أيمن وطور أيسر وطور في الوسط وطور هناك وطور ... ولا يوجدُ إلا جبلُ طورٍ واحد لكن هذا الجبل جبل الطور المُبارك لهُ عدة جوانب وأصلاً كلمة أيمن ليست جهة ثابتة لأن الثبات في اليمين واليسار غير ثابت غير وارد .

مثلاً : أنا أجلسُ الآن على هذا الكُرسي هذا الجهة هذهِ على يميني لكنني لو قابلت هذا الكُرسي فتُصبح هذهِ الجهة على يساري الأيمن غير وارد لكن الله جل وعلا يُخبر عن الجهة التي جاء منها موسى عليهِ الصلاةُ والسلام هذهِ واحده .
قُلنا الأيمن صفة لجانب وجانب نكرة والأيمن معرفة لكن ما الذي سوّغ هنا أن جانب جاءت مُعرّفه بالإضافة جاءت مُعرّ بالإضافة أضيفت إلى كلمة الطور فاكتسبت التعريف أضيفت كلمة جانب إلى كلمة الطور فاكتسبت التعريف فلما أضحت معرفةً حُق لها أن توصف بكلمة الأيمن .

وهنا قبل أن نتجاوزها إلى غيرها نبه بعضُ العلماء وذكرهُ الدكتور صالح العايد في كتاب نظرات لُغوية نقلاً عن صاحب البُرهان كلّما أنسى وهي قضية استنبطها العُلماء دقيقة جداً في قضية جانب الطور الأيمن .
الله جل وعلا ذكر هنا أنهُ واعد موسى جانب الطور الأيمن لكن لمّا تكلم عن نبيهِ صلى اللهِ علية وسلم قال (وما كُنت بجانب الطور) ما قال الأيمن (وما كُنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر)

لماذا لم يذكُر اللهِ الأيمن هُنا ؟

لأن هنا في نفي وكلمة الأيمن فيها تشريف لكن كلمة الغربي لا تعني شرفاً بذاتهِ [واضح]
الأيمن جهة اليمين جهة شرف لكن الغربي والشرقي والشمال والجنوب ليس فيها في ذاتها شرف فلما أراد الله النفي عن نبيهِ مُلاطفةً لنبيهِ لم يصفها بالأيمن لأنهُ إذا وصفها بالأيمن فيُصبح نفى اليُمنى عن نبيهِ والله لا يُريدُ هذا فقال جل وعلا (وما كُنت بجانب) إجلالاً وإكراماً ومُلاطفة لرسولهِ صلى الله علية وسلم .
وقبل أن أُكمل هذا أقولُ لك ولمن يُشاهدنا من الأخوة والأخوات علمُ التفسير عُموماً مواهب يُعطيها الله من يشاء والناسُ قُدرات ويظهرُ أثرُ كُل ذي قُدرة في تفسيرهِ . فمن كان ذا قُدرة في الإستباطات اللغوية سيظهرُ هذا جليً في كلامهِ ،، ومن كان قويً في الفقهِ مثلاً سيظهرُ هذا في كلامهِ فكُن أنت قبل أن تبحث عن تفسيرِ الآية ابحث عن ما تُريدهُ من الآية ابحث عن ما تُريدهُ من الآية فإذا بحثت عن ما تُريدهُ من الآية سيسهُلُ عليك أن تبحث في كُتب التفسير لكن هذا لابُد أن يسبقهُ أن تكون مُلماً بكُتب التفسير بعضُها يظهرُ من عنوانها فالكتاب الذي ذكرنا اسمهُ [نظرات لُغوية] فواضح أنهُ يبحث في اللُغة ، [أحكام القرآن لأبن

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

العربي] واضح أنهُ يتكلم في الفقهيات فأحياناً من العنوان يظهر وأحياناً
لا من كثرة المُطالعة والدُربة لك تستطيعُ أن تعرف مناحي المُفسرين
فيسهلُ عليك بعد ذالك أن تصل إلى مُرادك .

نقول قال الله جل وعلا :
(وواعدناكُم جانب الطور الأيمنَ ونزلّنا عليكُم المنّ والسلوى)

أهلُ العلم رحمهم الله يكادون يُجمعون على أن المقصود بالمنّ ما ينزلُ من السماء شيءٌ أنزلهُ الله من السماء عليهم كالطل يجدونهُ على رؤوس الأشجار أشبه بالعسل الأبيض يتجمع كالصُمغ ثُم يأخذُنهُ وهو نوعٌ من الحلوى رزقهُ الله جل وعلا بني إسرائيل وقالوا في السلوى أنها طيرُ السُمّان المعروف هذا ما ذكرُوه لكن جاء في الحديث أن الكمأة من المنّ والذي يظهر والعلمُ عند الله ما قالهُ الأفاضل الأكابر في هذا قويٌ جداً لتظافُرهم عليهِ ومن الصعب أن يُخطأ الإنسانُ جمعاً لكن فيما يبدو أن المنّ هو الكمأة التي تظهر الآن من غير ما زرع تكونُ مقرونةً بوقت المطر فهذهِ فيها منّة لأن ليس فيها جُهدٌ لأحد ليس فيها جهدٌ لأحد لأجل ذالك من الغالب يعني غالبُ الظن أنها مقصودة إن لم تكُن هي كُلها فتكون من في الحديث بيانية أو على الأقل نوعٌ مما أخرجهُ الله جل وعلا لبني إسرائيل.
والمقصودُ أن بني إسرائيل عندما خرجوا مكثوا في الصحراء فاحتفى العليُ الكبيرُ بهم إكراماً لأنبيائهم ولما أرادهُ الله جل وعلا من الابتلاءِ لهم (ولقد اخترناهم على علمٍ على العالمين) فأنزل عليهم المنّ والسلوى .
قال اللهُ جل وعلا
(وأنزلنا عليكُم المنّ والسلوى كلوا) وهذا أمرٌ للإباحة (كلوا من طيبات ما رزقناكُم ولا تطغوا فيهِ) في تجاوز الحد (فيحلّ عليكُم غضبي)
ثُمّ قال الله تذييلاً لهذا الأمر(ومن يحلل عليهِ غضبي فقد هوى) والهوى هُنا المقصودُ بها السُقوط المُريع والمقصودُ بها الهلاك الفضيع لكُل من حل عليهِ غضبُ الله تبارك وتعالى.

(ومن يحلل عليهِ غضبي فقد هوى)وهنا أتوقف قليلاً لأقول أن هوى في القرآن وردت بمعنى السقوط قال الله جل وعلا (أو تهوي بهِ الريح في مكانٍ سحيق) وهُنا نستبعد تفسير بعضُ العُلماء لقول الله جل وعلا (والنجمِ إذا هوى) بأن المقصود بهِ نزول القرآن.
بعضُ أهل العلم يقول (والنجم إذا هوى) يقصد أن القرآن نزل مُنجماً فيجعل هوى هنا بمعنى نزل لكن ألفاظُ كلمة هوى استخدام اللفظ هوى في القرآن لا يُساعدُ على هذا ومنهُ هذهِ الآية (ومن يحللِ عليهِ غضبي فقد هوى)

ثُم قال البرُ الرحيم كما يذكرُ غضبهُ يذكُر رحمته
(وإني لغفارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالح ثم أهتدى)

هذا القولُ الرباني من الله جل وعلا جاء بعد قولهِ تبارك وتعالى
(ومن يحلل عليهِ غضبي فقد هوى * وإني لغفارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحٍ ثُم أهتدى)

وقد يظنُ الناس ممن لا يؤتى بضاعة في التفسير قوية أن الأمر مُرتباً ترتيباً حرفياً وإنما المقصودُ أن الإنسان إذا وقر في قلبهِ الإيمان والأسفُ على ما كان منهُ من عصيان ولزم الصراط المُستقيم هذا الذي أهلٌ لأن يغفر الله جل وعلا له لكن الآية لا تعني الحصر فإن الرب جل وعلا قد يغفرُ من غير ما سببٍ من العبد قد يغفرُ من غير ما سببٍ من العبد .

وبعضُ أهل العلم كما في شرح العقيدة الطحاوية أجمل أسباب المغفرة إلى ثلاثةَ عشر سببً ، أجمل أسباب المغفرة إلى ثلاثةَ عشر سببً وجعل خاتمتها وأخرها وأكـمـــــــلها غُفران الله تبارك وتعالى من غير سببٍ من العبد لكن هنا الله جل وعلا يذكرُ أعظم أسباب غفران الذنوب

(وإني لغفّارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحٍ ثُم أهتدى)

على هذا الإنسانُ وهو يعملُ العمل الصالح لا بُد أن يجعل في نفسهِ مُستصحباً أنهُ يُريدُ بالعمل الصالح غُفران الذنوب كما قال الله قبل قليل على لسان السحرة (إنّا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا)

ونقولُ مـــــــــــــــــــرارا : أن المرء لا يحملُ فوق كاهلهِ شيءً أشد عليهِ من ذنبهِ ولهذا علّق الله جل وعلا جوائز فضائل الأعمال بغُفران الذنوب.

فلمّا ذكر النبيُ صلى الله عليه وسلم الحج وأخبر ما يجدهُ العبدُ من عناءٍ فيهِ وأنهُ عباده يجتمعُ فيها البدنُ والمالُ والقلب قال صلى الله علية وسلم { رجع كيوم ولدتهُ أمهُ } فعلّقها بمغفرة بمغفـــــــرة الذنوب لأن الصالحين لا يخشون لا يؤرقهم شيء أعظم من أنهم يسألون الله جل وعلا غُفران ذنُبهم .

إن تغفر اللهم تغفر جما ** وأيُ عبدٍ لك ما ألما**

ولما أراد الله أن يُخبر ببعض كرامتهِ إلى نبيهِ صلى الله علية وسلم قال لهُ (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وهو عليهِ الصلاةُ والسلام يُعلّمُ الصديق فيقول أن يقول في دُعائهِ

{ اللهم إنني ظلمتُ نفسي ظُلماً كثيرا وإنهُ لا يغفرُ الذنوب إلا أنت فاغفر لي } أو كلمةً نحوها .

والمقصود أن غُفران الذنوب من أعظم ما يطلبهُ العبد ُ من ربهِ.

إلي هنا ينتهي وضعٌ عام في حياة بني إسرائيل ذكرهُ الله جل وعلا ثُمّ يذكرُ اللهُ تبارك وتعالى مُسارعة موسى كما سيأتي تفصيلاً في اللقاء القادم إلى ربهِ.

لكن نقف هنا لنقول في جُملة هذهِ الآيات تنحصرُ هذهِ الآيات في الحديث عن ما كان من إيمان السحرة وهو أولُ نقلة نوعية في دعوة موسى إلى استقرارهم في أرض سيناء وهذهِ المرحلة التاريخية من انتصارِ موسى إلى استقرارهم في أرض سيناء مرّت بأحداث لم تذكُرُها الآيةُ هنا .

من تلك الأحداث والقرآنُ يُفسرُ بعضهُ بعضا :

// أن موسى قبل أن يرتحل من أرض مصر أمر قومهُ أن يجعلُ بيوتهم قبلة .

واختلف العُلماء في معنى (واجعلوا بيوتكُم قبلة) بعضُهم قال أنهُ أراد الصلاة وعندي هذا بعيد لأن الله قال بعدها (وأقيموا الصلاة) لكن الذي أفهمهُ والعلمُ عند الله أن المعنى اجعلوا بيوُتكُم مُتقاربة مُميزة في ناحية البلدة حتى تستطيعوا أن تذهبوا إلى البحر وقت ما يأذن الله برحيلكُم من أرض مصر من أرض مصر.

والمقصود أن موسى استقر في أرض مصر طويلاً قبل أن يرحل ويترُكها إلى أرض التيهِ .

// من هذهِ الأحداث وقعت ما وقع من الآيات (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم) هذا وقع ما بين إيمان السحرة وما بين خُرُجِ موسى من أرض مصر .

// ذكرت السُنة الصحيحة أن موسى أخذ معهُ جسد يوسف وهذا لم يأتي في القرآن لكن جاء في نقلٍ عن النبي صلى الله علية وسلم حسّنهُ أو صححهُ بعضُ أهل العلم .

// كذالك من الأحداث التي وقعت في هذهِ الحقبة التاريخية من إيمان السحرة إلى خُرُجِ موسى قضية قارون وما كان منه فإن قارون والخسف بهِ وهلاكهُ إنما وقع في أرض ؟ في أرض مصر ولم يقع بعد ذالك .

فهذهِ أحداث تاريخية أجملها القرآن جاءت مُفرّقة :.
قصة قارون ذُكرت في القصص ، وذُكِرت (واجعلوا بيُوتكُم قبلة) ذُكرت في يونس ، وبعضُها ذُكر في سورٍ أُخر وبعضُها ثُنّي وكُرر وبعضُها لم يُذكر إلا مرةً واحدة .

والمقصودُ أن تفهم أن هذا السياق يُسمّى إيجاز حذف يُسمّى إيجاز حذف ذكر الله جل وعلا فيهِ منّتهُ جل وعلا على بني إسرائيل وهذا الاحتفاءُ الإلهي ببني إسرائيل مبنيٌ على أن الله جل وعلا جرت سُنتهُ في خلقهِ أنهُ لابُد لناس من أئمة ذوي روح والمقصود أئمة روحيين بمعنى أئمة في العلم والهداية والله جل وعلا ينقُل هذا العلم من أمة إلى أمة وليس بين الله وبين أحدٍ من خلقهِ نسب ولكن كُلّما استمسكت الأمة بهدي السماء كانت حقيقة بأن تقود العالم والله جل وعلا قال عن بني إسرائيل (ولقد اخترناهُم على علمٍ على العالمين)
فبعضُ الألفاظ تحصُلُ منّا غير مُفرّقة ما بين من أصاب وما بين من أخطأ كقول البعضِ ممّن يغلبُ عليهِ الوعظ أو السهو أحياناً غير المقصود " يا أحفاد القردة والخنازير " فهي من حيث الحقيقة الخلقية لم يجعل اللهِ لمن مسخهُم حفدة فهو أمرٌ منتفي.

والأمر الثاني :أن بني إسرائيل يُنسبون إلى نبي عظيم كريم والله جل وعلا قال عنهُم (ولقد اخترناهُم على علمٍ على العالمين) لكن ظهر فيهم قتلُ الأنبياء وتبديلُ كلام اللهِ وقولهم ً قلوبُنا غُلف واتهامهم لمريم ومُحاربتهُم لعيسى ومُحاولة قتلهِ هذا الذي أضاعهُم وأذهبهُم .
فالإنسانُ إذا تكلم يتكلمُ بهديً من القرآن لا بعاطفةٍ تؤجحهُ فالله تبارك وتعالى يقول (ليسُ سواءَ من أهل الكتاب أمةٌ قائمة) إلى غير ذالك مما يُبينُ الله جل وعلا فيهِ الإنصاف عند الخطاب .

هذا ما يُمكنُ أن يُقال في هذا الجزءُ التاريخي من حياة بني إسرائيل في هذا الموضع .

قال الله جل وعلا بعدها مُبيناً ما حصل لموسى بعد ذالك قُلنا أن موسى أستقرّ في أرض ؟ في أرض الطور أمرهُ الله جل وعلا و أعطاهُ موعداً قال الله جل وعلا (وما أعلجلك عن قومك يا موسى)

هذا يُفهم منه أن موسى أستبق قومهُ إلى جبل الطور ليتحقق الوعد المكاني والزماني ضرب الله لهُ ميقاتً زمانياً مكانياً ميقاتً زمانياً أربعين يوماً أربعين ليلة والميقات المكاني جبل الطور فسبق موسى قومهُ وجعل أخاهُ هارون يخلفهُ فيهم فسألهُ ربُهُ (وما أعجلك عن قومك يا موسى)
وما هذهِ استفهامية .

(قال هُم أُولاءِ على أثري) قال بعضُ العُلماء أن هذا الجواب غير مُطابقٍ لسؤال كان ينبغي أن يقول أعجلني كذا وكذا ولا يقول إن قومي قريبُ عهدٍ بي على هيئة مكان .
لكن قالوا لماذا أحتار موسى في الجواب قالوا لأنهُ هاب مُعاتبة الله جل وعلا فلم يجد جواباً يُخاطبُ بهِ ربُهُ .
والمقصود أن مُعاتبة الله جل وعلا لبني إسرائيل وسُؤالهُم إياه أوقع في موسى الرهبة والخوف فكان جوابهُ غير مُطابقٍ لسؤال .

إذا صح هذا التأويل الذي أختارهُ بعضُ أهل العلم فحريٌ بنا أن يُقال إذا كان هذا النبيُ الكريمُ الذي لم يقترف ذنباً أصابهُ ما أصابهُ من الذهول لمّا عاتبهُ ربُهُ فكيف بمن يلقى الله جل وعلا وقد عصاه وتجاوزا حدودهُ وأنتهك حُرُماته نســـــــــأل الله لنا ولكُم العافية .

(وما أعجلك عن قومك يا موسى * قال هُم أُولاءِ على أثري) أي غيرُ بعيدٍ عني (وعجلتُ إليك رب لترضى) هذهِ تصلُح جواباً (وعجلتُ إليك رب لترضى)
وقد قال العُلماء بناءً على هذهِ :
إن العجلة مذمومة إلا إذا كانت مُسارعةً في الخيرات إن العجلة مذمومة إلا إذا كانت مُسارعةً في الخيرات (وعجلتُ إليك رب لترضى)
طلبُ رضوان الله جل وعلا من أعظم المقاصد وأجلّ المطالب ولا توجدُ عطية أصلاً بعد رضوان اللهِ قال الربُ تبارك وتعالى (ورضوانٌ من الله أكبر) وكُلّما كانت بُغية المرء أن ينال رضوان الله جل وعلا كان من أعظم الساعين في أسباب التوفيق و والله إنك لن تخرُج من دارك تطلُبُ أمرً أعظم من رضوان الله فكُلّما غلب على ظنّك في عمل فيهِ رضوان الله فلا تترد في السعي إليهِ عاجلاً أم آجلاً (وعجلتُ إليك ربي لترضى) .

قال اللهُ لهُ (فإنّا قد فتنّا قومك من بعدك وأضلهُم السامري)

السامري من مُبهمات القرآن كعلم ولم يُذكر إلا في سورة "طه" وشخصيتهُ جاءت في القرآن من حيث الجُملة شخصية مُبهمة سواءً في أول أمرها أو في خاتمة مطافها ولا أظنُّ أن ما بقي من الوقت يُعين على أن أتكلم عنها سأرجأ الحديث عنهُ في اللقاء القادم لكني أقول مُستدركاً بعض ما بقي من الوقت : أن الله جل وعلا قال
(فإنّا قد فتنّا قومك من بعدك وأضلهُم السامري)

نسب اللهُ الفتنة هُنا إليهِ ونسب الضلال إلى السامري ويجبُ أن يُحرّر أن الهداية والضلال بيد الله وما السامريُ هُنا إلا سبب جعلهُ الله جل وعلا كما جعل الملكينِ فتنةً لبني إسرائيل بعد موسى (إنما نحنُ فتنة فلا

تكفُر) فالشيطانُ مثلاً جعلهُ الله جل وعلا من أسباب الغواية ،، والمال جعلهُ الله جل وعلا فتنة ،، والنساء جعلهُنّ الله جل وعلا في حق الرجال فتنة في حق بعض الرجال فتنة .

والمقصودُ من هذا أن الهداية بيد اللهِ أما هذا السامريُ فهو كان سبباً في غواية بني إسرائيل كما سيأتي تفصيلهُ في موضعهِ لكنّ الذي يعنينا هُنا أن الله جل وعلا قال (فإنّ قد فتنّا قومك من بعدك) والخطاب لموسى (وأضلّهُم السامري) (فأخرج لهُم عجلاً جسداً لهُ خوار فقالوا هذا إلهكُم وإله موسى فنسى) أي أنهُ صنع لهُم عجلاً لهُ خوار والعجلُ ولد البقر و(لهُ خوار) هذا صوتُ العجل (فقالوا هذا إلهكُم وإله موسى فنسىَ) طبعاً إذا أستمرّيت في القراءة تقول (فنسيَ) فعل ماضي مبنيٌ على الفتح .

والمعنى

من الذي نسي ؟

الفاعل غير مذكور فيُصبح المعنى يحتمل عدة تأويلات :
منها أنهُم قالوا فنسي موسى أن يُخبركُم أن هذا إلهكُم هذا مُراد أرادهُ السامري .
ومُرادٌ آخر فنسي موسى أي نسي أن هذا الإله وذهب يطلبُهُ في مكانٍ آخر .
هذا أقوى الاحتمالات الاثنان وذُكر احتمالات أُخر لكن هذهِ أقواها .

وقُلت لا أُريدُ أن أزدلف إلى القصة كاملة لأن تحريرُها يحتاجُ إلى روية ويحتاجُ إلى مُتسعٍ من الوقت لكن الذي يعنينا أن الله جل وعلا أبتلى بني إسرائيل في الفترة التي تأخّروا فيها عن إدراك موسى بأن عبدوا العجل وعبادتهُم للعجل هي مُرادهُم من قولهم في سورة البقرة (لن تمسّنا النارُ إلا أياماً معدودة) فهم يقولون أنهُ محكُومٌ لنا بالجنة وأن النار لا تمسّنا إلا أياماً معدودة هي الفترة التي عبدنا فيها العجل .
ولأن عبادة العجل كانت مهلكةً عظيمةً لهُم اشترط الله عليهم في التوبة أن يقتلوا أنفُسهم كما أخبر الله جل وعلا في سورة البقرة.
وهذا كما قُلت أنا أُقاربهُ مُقاربة الآن في آخر المطاف لكن جُملةً هي فتنةٌ حصلت لبني إسرائيل سيأتي تفصيلُها بإذن الله تعالى في اللقاء القادم .
وقُلتُ إن السامريُ مُبهمٌ من مُبهمات القرآن شخصيةٌ يكتنفُها الغموض ذكرها الله جل وعلا فقط في سورة طه سيأتي تحريرُ الخطاب عنها في اللقاء القادم .

هذا ما تيسر إيرادهُ وتهيأ إعدادهُ والله المُستعان وعليهِ البلاغ وصلى الله على مُحمدٍ وعلى آلهِ والحمدُ للهِ رب العالمين ....

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي بنعمتهِ تتمُّ الصالحات وأشهدُ أن لا إله إلا الله ربُ الأرضِ والسماوات وأشهدُ أن سيدنا ونبينا مُحمدٌ عبدهُ ورسولهُ أتمّ الله بهِ النبوة وختم الله بهِ الرسالات وصلى الله وسلم وأنعم وبارك عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ وعلى سائرِ من اقتفى أثرهُ واتبع منهجهُ بإحسانٍ إلى يوم الدين ...

فمازلنا معشر الأحبة في قول الله جل وعلا في سورة "طه"
(فرجع موسى إلى قومهِ غضبان أسفا)

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

وهذا الخبرُ مُفرعٌ على ما قبلهِ وهو أن موسى عليهِ الصلاةُ والسلام أخبرهُ الله جل وعلا وهو عند جبل الطور بأن قومهُ قد فُتنُوا من بعدهِ وأنهُم عبدوا العجل بناءً على أمرٍ أو إشارةٍ أو دلالةً من السامري .

وحتى يكون المنهجُ لديكُم واضحاً بعضُ الآيات في القرآن يحسُنُ ذكرُ إجمالها والإنسانُ إذا فقه مُجمل القضية يقدرُ بعد ذالك على أن يفُك ألفاظ القرآن .

وعلى هذا قال اللهُ جل وعلا (فرجع موسى إلى قومهِ غضبان أسفا) إلى قولهِ تبارك و تعالى (إنما إلهكُم اللهُ الذي لا إله إلا هو وسع كُل شيءٍ علما) إنما هو حدثٌ تاريخي جملتهُ عبادة بني إسرائيل للعجل . وتمُرّ معك (يبنؤم أم لا تأخُذ بليحتي ولا برأسي) على لسان هارون وقول السامري (بصرتُ بما لم يُبصروا بهِ) وقولهُ غير ذالك .

لذالك إذا كان الإنسانُ لم يفقه القضية أصلاً والقصة جُملةً لن يستطيع أن يفهمها كحروف حتى يستوعب القضية أين كانت لذالك سأسردُ أنا القصة مُستغنياً بها عن قضية فك الآيات آية واحدة .
ِإنما على إيحاء القرآن من لقُرآن نفسهِ نأخُذ القصة ونحاول أن نستعين ببعض المُعطيات التاريخية قدر الإمكان مع التحرُز على أن الغيب لا يُدرك بالعقل الغيب لا يُدرك بالعقل فما سكت اللهُ عنهُ غيباً لا نستطيع أن نقتحمهُ نحنُ بتأويلاتنا العقلية هذا أمرٌ يجب التحرُز منه .

نقول الله جل وعلا أخبر موسى أن السامري أضلّ قومهُ فعبدوا العجل وهذا الخبرُ جاء من الله فرجع موسى إلى قومهِ وصف الله حالتهُ بأمرين (غضبا أسفا) والغضب حدّة تكون في النفس غير مقرونةٍ بخوف إذا رأى الإنسان شيئاً يسوؤه فلمّا رجع موسى علية السلام بهذهِ الحالة هذا معنى غضب وأسف بمعنى أن هذهِ الحدّة كما أنها مقرونة بما حصل لقومهِ مقرونة بالحزن لما وصلوا إليهِ و لهذا عبّر القرآن بكلتا الحالتين غضبان في ذات اللهِ وأسفاً على قومهِ فهو مُغضب في نفس الوقت حزينٌ جداً لطريق التي سلكهُ قومُهُ .
موسى علية الصلاة والسلام جعل أخاهُ هارون بعدهُ في بني إسرائيل وذهب لمُلاقاة الله وقد مرّ معنا في اللقاء الماضي أنهُ سألهُ ربُهُ (وما أعجلك عن قومك يا موسى) في هذهِ الفترة جاء السامري .

من السامري؟

قُلنا انهُ من مُبهمات القرآن ونعني أنهُ لم يأتي تفصيلاً دقيقاً عن سيرتهِ وظاهرُ الأمرِ أنهُ رجُلٌ من بني إسرائيل ، هذا السامري أبصر جبريل على الأظهر (فبصرتُ بما لم يُبصروا بهِ فقبضةً من أثر الرسول) فُسّرت الرسول بجبريل رأى جبريل وهو على فرسٍ يُقال لهُ حيزون ،، يُقال إن جبريل عندما كان يجري على هذهِ الفرس كان لا يطأ على مكان إلا يحيَ ينبُت ففطن السامريُ لهذا الأمر الذي أعطاهُ الله جل وعلا لفرس جبريل فقبض قبضة ولا تُسمى قبضة إلا إذا كانت ملأ اليد يعني مقبوض عليها وأحتفظ بها لنفسهِ ثُم كأنهُ وضعها في مكانٍ آمن حتى انتهز فُرصة غياب موسى في جبل الطور ووضع أخاهُ هارون خليفةً عليهِ في هذهِ الفترة جاء السامريُ لبني إسرائيل ودخل عليهم من باب الخطيئة كما

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

يُريُدهُ الناس عندما يأتون إلى شخصٍ يُريدون أن يُضفوهُ فيما يُريدون يأتون إليهِ من باب الخطيئة من باب الخطأ فأخبرهم أنهُم حملوا أوزارً آثام سببُها أنّهم لم يردّوا زينة القوم من القوم ؟ الأقباط سُكان مصر الأصليين هؤلاء بني إسرائيل كانوا يعيشون على مقربة من الأقباط في مصر كانوا خدم لهم وجيران ويحدُث من والخدم والجيران نوعٌ من العلاقات فبعضُ بني إسرائيل كان يُعطي بعضُ القبط كان يُعطي ذهبةُ وزينتهُ لبني إسرائيل إمّا يحتفظ بها أو بعثهُ في مُهمّة أو كان خادمً عندهُ المُهمّ تحصّل بني إسرائيل على مجموعة من الحُلي التي ليست لهُم مُلكاً في الأصل فلمّا تجاوزوا البحر أتاهُم السامريُ من هذا الباب إن هذهِ الزينة التي تملكونها وتحملونها إثمٌ ولهذا قالوا (حُمّلنا أوزارً من زينة القوم) والأوزار تُطلق على الذنوب والمعاصي فلا بُد أن تتخلصوا منها فسألوه كيف نتخلص فأتى لهُم بقاع بأرض وأمرهُم أن يُلقوا ما جمعوه من حُلي فيها فتكون من هذهِ الحُلي ذهبٌ كثير فجاء السامريُ بالقبضة التي قبضها لتدُب فيها نوع من الحياة نسبياً مع هذا الذهب مع قُدرتهِ على صناعة التماثيل فأخرج لهُم العجل والعجلُ صغارُ البقر كما هو معلوم وصوتهُ يُسمّى خوار.

لكن قال بعضُ أهل العلم أفراد منهُم :
قالوا إنّ هذا العجل كان فيهِ روح وهذا بعيد جداً لأنهُ لا خالق إلا الله ، ومن قواعد العلِم وهذا مرّ معنا كثيراً أن الإنسان يأخُذ الأمر اليقيني ثُمّ يصدُمُ بهِ الشيء المُتشابه فالمُتشابهة لا يقدر أن يقف أمام الشيء اليقيني المُتشابه لا يقف أمام المُحكم فمّما نستصحبهُ هنا مُحكماً أن الله جل وعلا لا خالق غيرهُ ومُحال بأن يقدر السامريُ بأي قُدرة على أن يخلُق شيئاً ، حتى قول الله جل وعلا على لسان عيسى (أني أخلُقُ لكُم كهيئة الطير فأنفُخ فيهِ فيكونُ طيراً بإذن الله) قالوا أنهُ ما مُجرد أن يطير إلا يقع حتى يُميز خلقُ الله عن خلقُ الناس عن خلق عيسى .

فالمقصود أن السامري بما أعطاهُ الله من قُدرة في صناعة التماثيل والذهب معدنٌ أصيلٌ كما هو معلوم مع تلك القبضة مزج بعضها في بعض ولا ندري كيفية العجل على هيئتهِ العامة على هيئتهِ التفصيلية لكن نعلم نقول كما قال الله (جسداً) تدلُ على أنهُ لا روح فيهِ .

لأنهُ مرّ معنا أن أُسلوب القرآن إذا تكلم عن اللحم والدم والشيء المُجسم إذا كان مقروناً بالروح يُعبّر عنهُ بأنهُ جسم قالوا عن طالوت (بسطة في العلمِ والجسم) قال الله عن المُنافقين (تُعجبُك أجسامهُم) .
وإذا عبّر القرآن بالجسد فإنهُ يتكلم عن ما لا روح فيهِ والمقصُودُ أن هذا العجل أخرجهُ لهُم السامري فلمّا أخرجهُ لهُم كما قال الله جل وعلا(فقالوا هذا إلهُكُم وإله موسى فنسيِ) وفي اللقاء الماضي أنا نطقتُها فقالَ طبعاً هذا خطأ سبقُ لسان لكن (فقالوا هذا إلهُكُم وإله موسى فنسيِ) فبيّن لهُم أن موسى علية السلام هذا بزعم السامري لي يعرف ربهُ نسي ربهُ فذهب يبحث عنهُ في مكانٍ آخر أو قال لهُم إن موسى نسي أن يُخبركُم أن هذا إلهكُم وكلا الأمرين كُفر .
فُتن بنوا إسرائيل بالعجل فأخذوا يطوفون حولهُ ويتراقصون ومن هُنا أخذ بعض عُلمائنا لسُنة أن ما يصنعهُ بعض المتصوفة من التطواف والرقص لا أصل لهُ بل إنهُ مأخوذٌ عن العبادة الكُفرية لبني إسرائيل ولم يُنقل فيهِ أثرٌ صحيحٌ صريح عن نبينا صلى الله علية وسلم وكفى بعبادة النبي علية الصلاة والسلام وأصحابهِ عبادة .

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

موضع الشاهد :

هذا الأمرُ حدث على مرأىً من عيني هارون وموسى إلى الآن يا بُني غيرُ موجود فلمّا رآهُم هارون ازدحمت في ذهن هارون قضيتان :

القضية الأولى :

أنهُ كان بإمّكانهِ علية السلام أن يُنكرِ عليهم إنكاراً ينجمُ عنهُ أن يأخُذ المجموعة التي لم تؤمن الفرقة التي لم تؤمن فيذهب ويتبع موسى وهذا غلب على ظنّ هارون أنهُ لو فعل هذا لتشتت بنوا إسرائيل الباقون وتفرّقوا فإذا عاد موسى لا يجدُ طريقةً لجمعهِم حتى يرُدهُم إلى الحق هذهِ .

والأمر الثاني :

أن يُبقي الأمر على ما هو عليهِ و يُنكر بقوة عليهم ويُحاولُ أن يأخُذ ويُعطي معهُم حتى يأتي من ؟ حتى يأتي موسى فيُبيّن لهُم لأن السامري اتكأ على ماذا ؟

اتكأ على ثياب على ثياب موسى فإذا جاء موسى لم يبقى لسامريّ حُجة

[واضح]

هذا الذي أذهلهُ هارون فيما أفهمهُ أنا من القرآن **[واضح]** وإن لم يُصرّح بهِ أحد لكنّهُ لما حصل هذا أنكر عليهم موسى وقد أنكر عليهم هارون وقد برّأ اللهُ جل وعلا بنصّ كتابهِ ساحة هارون قال اللهُ جل وعلا (ولقد قال لهُم هارونُ من قبلُ يا قومُ إنّما فُتنتُم بهِ وإنّ ربكُم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري)

فبدأ بالتخلية وهو إن (فُتنتُم بهِ) ودعا إلى التوحيد (ربُكُم الرحمن) ودعا إلى الرسالة (فاتبعوني) ودعا إلى الشريعة .

كُلها أجملها عليهِ الصلاةُ والسلام

لمّا جاء موسى في هذهِ الفترة لم يرتدع بنوا إسرائيل فرجع موسى بعد أن أخبرهُ الله لمّا رجع موسى علية الصلاة والسلام بعد أن أخبرهُ الله وكفى بتعليم اللهِ علما لكن كما قال نبيُنا صلى الله علية وسلم فيما روي عنهُ في المُسندِ وغيرهِ { ليس الخبرُ كالمُعاينة } فلمّا رآهُم على هذهِ الحال يعبدون العجل غضباً للهِ ولأنهُ رسولٌ مُلأ قلبهُ توحيداً لا يُتصور أن يرى أحدً يعبدُ غير الله ألقى الألواح ولم يُلقي الألواح زُهداً في الألواح أو استخفافاً بكلام اللهِ مُحـــــــــــــال أن يفعل هذا آحادُ الناس من الصالحين فكيف يُنسب إلى أولياء اللهِ ورُسلهِ لكنهُ فعلها ممّا أصابهُ من الحنق والغضب أن يرى أحدً يعبدُ غير الله أن يرى أحدً يعبدُ غير الله فألقى الألواح توجّه مُباشرةً إلى أخيهِ .

صوّر الله هذا الموقف والحدة في موسى أنهُ كان يأخُذُ برأسِ أخيهِ ويجّرهُ إليهِ كان الموقف صعباً على هارون لكنّ هارون كان حليماً والعربُ تقول

" إذا عزّ أخـــــــــوك فهُن "

وحياتك مع أصدقائِك ورُفقائك ومن تُحبهم ويُحبّونك إذا غلب عليك الظنّ أنهم شدوا ـ بالعامية ـ أرخي أنت يقولُ مُعاوية " لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت إذا أرخوها شددتوها وإذا شدوها أرخيتُها ـ وفي روايةٍ أنهُ قال ـ أعيشُ نعهُم كالحمام إذا وقعوا طرت وإذا طاروا وقّعت "

المقصود لجأ هارون لا إلى مُناكفة أخيهِ وصدّهِ لجأ إلى استلطافهِ وأخذ يبحثُ عن ألفاظ تُحرك العاطفة في قبل أخيهِ وهارون وموسى أخوان شقيقان لكنّهُ قال لهُ (يبنؤُمّ) وقولهُ يا ابن أُمّ أثرُها في النفس أكثر من

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

قولِهِ يا أخي وإنّما ذكّرهُ بالرحم العظيم الجامع بينهُما وهي الأُم (يبنؤُمّ لا تأخُذ بلحيتي ولا برأسي إنّي خشيت) قال العُذر الذي قُلناهُ من قبل (إنّي خشيتُ أن تقول فرّقت بين بني إسرائيل ولم ترقُب قولي)أي لم تسمع قولي ولم تُطعني في أمري .

ينبغي أن تعلم كذالك أنّ موسى لم يشُكّ لحظة أبداً في أخيهِ أنهُ عبد العجل لكنّهُ كان يتكلم عن سياسة أخيهِ في الموضوع فقولُ موسى كما قال الله لأخيهِ (أفعصيت أمري) لا يقصِدُ منهُ عصيت أمري في العبادة مُحـــال لأن هارون نبيٌ مثلُ من؟ مثلُ موسى لكن (عصيت أمري) عندما قُلتُ لك (وأصلِح ولا تتبع سبيل المُفسدين) أُخلفني في قومي أصبح زعيماً لهُم قائداً لهُم ريثما أعود هذا الذي خشي موسى أن يكون هارون قد فرّط فيهِ .

وهذا أرجوا أن تنّتبهُوا لهُ جيــــــــداً لماذا؟

قال بعضُ أهلِ الفضل وصرّح بهِ الطاهر بن عاشور رحمهُ الله في التحرير والتنوير قال " إنّ الحفاظ على العقيدة أفضلُ من الحفاظ على جماعة المُسلمين لأن مصلحة العقيدة لا ترقى إليها شيء وإنّ هارون جانبهُ الصواب في الصنيع الذي فعلهُ " .

ونحنُ نقول :

إنّ قول طاهر بن عاشور رحمهُ الله " إنّ مصلحة العقيدة لا يرقى إليها شيء " هذا مُتفقون عليهِ فلا توجد مصلحة أعظم من مصلحة العقيدة ولا توجدُ مفسدة أعظم من مفسدة الشرك لكن مُحال أن يُقال إن هارونَ جانبهُ الصواب لأمرين :

**

لأننا نقول إنّ الله أمر جُملةً نبدأ بالأدلة العامة بإتباع هدي الأنبياء فقال (أولئك الذين هدى الله فبُهُداهم أقتدهِ) فيدخُلُ ضنهُم هارون لزاماً ولم يستثني اللهِ حالةً لهارون في حين أن الله أستثنى حالةً لمن ؟ حالةً ليونس قال جل وعلا (ولا تكُن كصاحب الحوت إذا نادى وهو مكظوم) فهذهِ الحالة استثناها الله ليونس وبقي يونس في الجُملة يُهتدى بهِ إلا في حالة خُرُجهِ مُغاضبا أمّا هارون فلم يستثني اللهُ جل وعلا من هديهِ شيء ، هذا واحد .

**

ثاني شيء نقول لا يُعقل في أمر الدين أن يرى أحدٌ من الناسِ في أمرِ شرعي يهتدي برأيٍ لم يهتدي إليهِ رسول لا يُعقل أن يُقبل أن يهتدي من آحاد الناس عالمٌ أو غيرهُ إلى أمرِ لم يهتدي إليهِ رسول.
ونقولُ إن هارون كان يعلمُ أن مصلحة العقيدةِ لا يرقى إليها شيء لكنهُ لم يُفرط في جانب العقيدة وإنّما الآلية التي يُحافظُ بها على جانب العقيدة مسألة سياسية وهي أنهُ أبقى على قومهِ مُجتمعين ريثما يعودُ موسى كما بيّنا في الأول لعلمهِ عليهِ السلام أن السامري اتكأ على حُجة أن موسى غائب فأخذ يقولُ ويُشيعُ في بني إسرائيل أن موسى نسي فإذا جاء موسى سيُبطل هذهِ الحُجة التي قالها السامري وهذا عينُ ما وقع بعد رجعةً من؟ بعد رجعة موسى هذا عينُ ما وقع بعد رجعةً موسى. فنقول إن تدارُك هارون للقضية كان صائباً ولهذا لم يذكُر اللهِ تعنيفاً لمن ؟ تعنيفاً لهارون بل إنّ الله ذكر تراجُع موسى بقولهِ " ربِ أغفر لي ولأخي " أستغفر لهُ ولأخيهِ ممّا يدلُ على أن موسى تراجع عن الحدّة

التي أصابتهُ في التعامُل مع أخيهِ هارون علية السلام .
هذا مُجمل القضية ...
بعد أن تأكد موسى أن الأمر ما زال في قبضتهِ وأن بني إسرائيل لم تتفرق لجأ إلى السامريُ يُحاكمه قال (ما خطبُك يا سامري) يسالُهُ فقال السامريُ ما ذكرناهُ لكُم من أنهُ قبض قبضة وأنهُ جمع وما إلى ذالك .
موسى معروفٌ بحدّتهِ مرّ معك كثيراً وأنت تدرُس القرآن والسُنّة حدّة موسى في ذات اللهِ ومنها ما حصل معهُ مع الخضر ومنها الموقف الذي بين أيدينا من مُجازاتهِ لأخيهِ لكنّهُ قال لسامري (فاذهب فإنّ لك في الحياة أنت تقول لا مساس)
قالوا أي أهلُ العلم جُملة في معناها :
أن الله جل وعلا حكم على هذا الرجُل الضال بأن لا يكونُ فيهِ أُنسٌ مع الغير فيستوحش من الناس ولا يكونُ مُخالط لهُم وأنهُ يبقى ما بقي من حياتهِ يعيشُ طريداً شريداً لا يأنسُ بالخلق هذا جُملة ما قالهُ .

وبعضُ الناس من المُتأخرين ممّن لهُم دراية بالتاريخ يقولون والوجهُ الذي اتكأوا عليهِ صحيح لكن لا يلزم من الوجه الذي اتكأ عليهِ أن يكون إذا كان صحيحاً أن يكون النتيجة صحيحة لأنّني أقول دائماً أن قضية الغيب تبقى غيباً قالوا :
إنّ الله جل وعلا أراد أن يُبقي على حياة السامري ولهذا لم يُعنّفهُ موسى (فاذهب فإنّ لك في الحياة أنت تقول لا مساس وإنّ لك موعداً لنّ تُخلفه)طبعاً السابقون كانوا يقولون إن الموعد يوم القيامة لكنّ هذا فيهِ نظر لأن هذا الموعد لا يختصُ بالسامري وحده لا يختصُ بالسامري وحدة فقالوا أن القضية قضية الدجال وأن السامري هو الدجّال وأن الله أذن لهُ أن يبقى ويعيش ولم يُسلّط عليهِ عبدهُ موسى حتى تبقى حياتُهُ فإذا بقيت حياتُهُ الموعد الذي لنّ يُخلفه هو وقتُ خروجهِ لناس ثُمّ وقتُ هلاكهِ على يد عيس ابن مريم .

أقولُ مُعقباً والعلـــــــــــــم عند الله ..

هذا القولُ فيهِ وجهٌ حظٌ كبيرٌ من النظر لكنّ من الصعب تبنيهِ والجزم بهِ لعدم وجود ما يدعمهُ من الأثر فيهِ حظٌ كبيرٌ من النظر لكنّ من الصعب الجزم ـ اسم لكنّ ـ وتبنيهُ لعدم وجودِ ما يدعمهُ من الأثر لكنّ أقول إن العقلية التي تنتبهُ لمثل هذا عقليةٌ مُؤهلة أن تنظُر في كلام اللهِ مثلُ هذهِ العقلية العقليات عقليات مؤهلة أن تنظُر في كلام الله وهذا من العلم الذي تجري فيهِ أقدامُ العُلماء هذا واحد .
والأمرُ الثاني : يُسمّى من مليح القولِ لا من متين العلم يُسمّى مليح القولِ لا متين العلم هذهِ جُملة ما ذكرهُ الله جل وعلا عن السامري .
قبل أن أتجاوزها ثمّة فوائد يجبُ استنباطُها من هذا الحدث التاريخي الذي مرّ ببني إسرائيل أولُها وأعظمُها :

أن الله إذا أراد ضلالة أحد غشي على أبصارهِ وحرمهُ من استعمال عقلهِ و إلا يا أخي ترى من المُحال أن يُقال أن قوماً يُنجيهُم الله ويرون البحر يبس وتمشي أقامهُم عليهِ ثُمّ بعد هذا كُلهِ يأتون إلى عجلٍ لهُ خوار يعبدونهُ من دون اللهِ هذا من أعظم الدلائل على أن المسألة لا ترجعُ إلى العقل وإنّما هي هداية من الله ونور يضعهُ الله جل وعلا في قلب من في قلب من يشاء .

الأمرُ الثاني : أن الناس الذين ينصُرُ الله بهم دينهُ تختلف مشاربُهم ، تختلفُ قُدراتُهم فموسى فيهِ الغضب والحدّة وقد نفع الدين نفعاً عظيماً وهارون علية السلام كان فيهِ شيء من اللين والرفق وقد نفعت الدين نفعاً عظيماً كما كان في الفاروق والصديق رضي الله تعالى عنهُما فإن الصديق كان فيهِ لين والفاروقُ كان فيهِ شدة ولمّا كان الصديقُ رضي الله تعالى عنهُ يستشيرُ الناس في أمر الفاروق يخشون من شدّتهِ فكان يقولُ لهُم إن الذي دفعهُ إلى هذا أنهُ يجدُ فيّ ليناً في ذات الله .

والمقصود عندما تُحاكمُ شخصين فلا تنظُر من هذهِ الزاوية الضيّقة فتقول إن فُلاناً قويٌ في ذات اللهِ جبّار وتتّهمُ الآخر بالضعف لكن الدين يُنصر بالشخص الضعيف كما يُنصر بالشخص القوي وأحياناً نحتاجُ إلى الحدة والغضب وأحياناً نحتاجُ إلى الحلم واللين وأحياناً نحتاجُ إلى دُعاء ذالك الرجُل العاجز وأحياناً نحتاجُ إلى حلم الحليم وأحياناً نحتاجُ إلى استنباط الفقيهِ فالدينُ من حيث الجُملة ينصرهُ الله جل وعلا بهؤلاء كُلهم كما نصر الله دينهُ بنبييهِ موسى وهارون رغم اختلاف شخصيتهما اختلافاً كثيراً .

الأمرُ الرابع وهذا مرّ معنا عرضاً :
أن الإنسان لا يُحاولُ أن يُصادم أصحاب الرئاسة وأن المركب الواحد لا يحتملُ أكثر من قائد ولا بُد للعاقل أن يتغاضى عن أمور إذا أراد للمركب أن تسير لكن الإلحاح على المطالب والإصرار على الزعامة والتنافُس في الدُنيا هذا الذي يُذهب المركب الإسلامي ويجعلهُ عُرضةً لغرضهِ .
لكن من جعل الله جل وعلا بُغيتهِ ورضُوان الله جل وعلا غايتهُ هان عليهِ كُلُ ذالك في سبيل إعلاء دين الرب تبارك وتعالى لكنّهُ كذالكِ ينبغي أن يُعلم أن دين الله جل وعلا أجلُ وأعظم من أن يُتخذَ غرضاً لدُنيا .
الذنوبُ والخطايا التي تكونُ للعبدِ ولابُد منها يجبُ أن تُوظف توظيفاً صحيحاً فلا يأتينّك أحد ينتهزُ فيك ماضيك وبعضَ خطاياك فيُوظفُك إلى ما يشاء وما يبتغي وما يُريد من باب أن ذالك كفّارةً لما قدّ عملّت وإنما الإنسانُ يعلم أن الذنوبَ والمعاصي ليس لها إلا التوبة وقد مرّ معنا في اللقاء الماضي في سورة طه نفسها (وإنّي لغفارٌ لمن تاب و ءامن وعمل صالحاً ثُم أهتدى)
هذا جُملة ما يُمكن أن يُقال عن قصةِ موسى مع السامري ...

عبادة العجل من أعظم ما أقترفهُ بني إسرائيل ولهذا أمرهُم اللهُ جل وعلا بالتوبة وجعل توبتهُم أن أقتلوا أنفسكُم .

ثُمّ قال الله تبارك وتعالى ، أُختلف هل هذا من كلامِ موسى أم من كلام اللهِ تذييلا
(إنّما إلهكُم اللهُ الذي لا إله إلا هو وسع كُل شيءً علما) وشتّان ما بين الخالق وبين سائر المخلوقين (إنّما إلهكُم اللهُ الذي لا إله إلا هو وسع كُل شيءً علما)

ثُمّ قال الله لنبيهِ
(كذالك) أسلوبٌ عربيٌ في الربط بين الجُمل (نقُصُ عليك من أنباء ما قد سبق) فما خبرُ موسى إلا جُملة أخبار قصصناها عليك أيُها النبيُ الكريم (كذالك نقُصُ عليك من أنباء ما قد سبق وقد أتيناك) وقد

لتحقيق (من لدُنّا ذكرا) وهو القرآن وسائرُ ما أوحى الله جل وعلا إلى نبيهِ (وقد ءاتيناك من لدُنّا ذكرا)

وهذا الذكرُ إمّا أن يُقبل وإمّا أن يُعرض عنه فذكر اللهُ أولاً:.
من أعرض عنه (من أعرض عنهُ) أي هذا الذكر (فإنّ يحمل يوم القيامة وزرا وساء لهُم يوم القيامةِ حملا) قُلنا الوزر أصلاً تحمُّل الثقل وقُلنا أن كلمة وزير مأخوذة من أن الوزير يحملُ الثقل عن الأمير فالله جل وعلا يُخبر أنهُ ساء حملاً من أتى بذنوبهِ وإعراضهِ عن اللهِ جل وعلا (وساء لهُم يوم القيامةِ حملا)
أين يكونُ يوم القيامة ؟(يوم يُنفخُ في الصور)
هذهِ مرّت كثيراً وهي ظاهرةُ الألفاظ والنافخُ في الصور اسرافيل

(يوم يُنفخُ في الصورِ ونحشُرُ المُجرمين يوم إذٍ زُرقا)

المجرمون هُنا الكُفّار ، (زُرقاً) قال العُلماء أي زُرق العيون وقيل زُرق الأجساد عموماً لكنّ الأول أظهر (ونحشُرُ المُجرمين يوم إذٍ زُرقا يتخافتون بينهُم إن لبثتُم إلا عشرا نحنُ أعلمُ بما يقولون إذ يقولُ أمثلهُم طريقةً إن لبثتُم إلا يوما)
هذا ما يكونُ يوم القيامة من تخاصُم الناس وتساؤلهم عن ما مضى وإخبارُ الله جل وعلا عن ما يُقال في ذالك اليوم ما بين أهلُ الكُفرِ وغيرهم .

ثُمّ قال الله جل وعلا (ويسألونك عن الجبالِ فقُل ينسفُها ربي نسفا فيذرُها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا)
هذهِ إحدى آياتُ السؤال في كلامِ ربنا الكبير المُتعالِ وآياتُ السؤالِ مُتعدّدة في القرآن جاءت في القرآن المكي والقرآن المدني وقد أفرد لها الشيخ عـــطية محمد ســالم كتاباً خاصاً أسماهُ "آياتُ السؤالِ والجواب في آيات الكتاب" فمنها ما كان يتعلقُ بالتشريع كالسؤال عن المحيض ، والسؤالِ عن أموال اليتامى ، والسؤالِ عن الأهلّة ، والسؤالِ عن الخمر .
ومنها ما يتعلّقُ بالأمور الغيبية وما سيقع كهذهِ الآية (ويسألونك عن الجبال) أو قولهِ جل وعلا (ويسألونك عن الساعة) وبكُلٍ أجاب الله .

نقول (ويسألونك عن الجبال فقُل ينسفُها ربي نسفا)
ما الجبـــــــــــــال؟
الجبال خلقٌ من خلق اللهِ عظيمُ الهيئة ولأنهُ عظيم لفت الله الأنظار إليهِ (وإلى الجبالِ كيف نُسفت) والله تبارك وتعالى إذا استقرّ في الأذهان عظمة شيءٍ يربطهُ بعظمتهِ إذا استقرّ في الأذهان عظمة شيء يربطهُ بعظمتهِ فأين ربط الله عظمة الجبال بعظمتهِ ؟
ربطها لمّا تكلم عن قضية نسبة الولد (وقالوا اتخذ الرحمنُ ولدا * لقد جئتُم شيئاً إدّا * تكادُ السماواتُ يتفطّرن منه وتنشقُ الأرضُ وتخرّوا الجبالُ هدّا أن دعوا لرحمن ولدا) فهي على عظمتها تخرّ إذا بلغها أن أحدً من الخلقِ زعم أن للهِ صاحبةً أو ولد فربطها جل وعلا بعظمتهِ هذا واحد .
ثُمّ لعظيم خلقتها بيّن اللهُ جل وعلا أنّها من جُملة من يعبدُهُ (وإن من شيءٍ إلا يُسبحُ بحمدهِ) وهذا عموم ثُم ذكر لها خصوصاً (إنّا سخّرنا الجبال معهُ يُسبحن) ذكر جل وعلا تسخيرها لمن ؟ لدواد عليهِ السلام

أنها تُسبحُ معهُ صلواتُ الله وسلامهُ عليهِ .
هذا من جُملة كيف يربطُها الله جل وعلا بذاتهِ العلية
كذالك استقرّ في الأذهان أن الجبال شيءٌ عظيمٌ حتى في اللُغة من أراد أن يمدح أحدً شبههُ بالجبل .
يقولُ الفرزدق في ردّهِ على جرير:
فادفع بكفّك إن أردت بنائنا ** ثهلان ذا الهضبات هل يتحلحلُ

يقول لهُ إذا أردت أن تهدم ما بناهُ أجدادي فإن صنيعك كمن يأتي إلى ثهلان جبلٌ عظيم كبير في الحجاز فاهدمه حرّكهُ بيدك ولن تستطيع فمقامُ أجدادي وما دونهُ مثلُ هذا الجبل .

ويقولُ آخر :
كُنا جبالاً في الجبال وربُما ** سرنا على موجِ البحار بحارا
فكُنا جبالاً في الجبال الثانية الجبال المعروفة وكُنا جبال أي ثابتين راسخين .

ويقول حسّان :
شماريخُ رضوا عزّةً وتكرُما
ورضوا جبال ما بين المدينة و العيص بعد ما تنتهي من ينبُع النخل تأتيك على شمالك إن لم أنسى وقد رأيتُها عالية شاهقة جداً وهي كالشماريخ تماماً كأن حسّان يرسمُها رسماً لا يصفُها وصفاً .

والمقصودُ أن الجبل استقرّ في الأذهان علو هيئتهِ ولهذا لمّا ربطهُ الله بعظمتهِ وفُتن الناسُ فيهِ قُلنا جرت سُنةُ الله في خلقهِ يقول علية الصلاةُ والسلام في ذالك القعود الذي سبق ناقتهُ {حقٌ على الله } أن أي شيء يرتفع يخفضهُ الله .
العامة يقولون كُل شيء لهُ سبع كُل شيء لهُ سبع يعني لهُ آفة تُذهبُ هيبتهُ فبعض طلبة العلم مثلاً تُفتن بعالم فيُريك الله ضعفهُ في جانب مُعين والبُخاريُ يقول رحمةُ الله تعالى عليهِ لمّا ذكر أظنّهُ ذكر احد عُلماء الحديث قال" ما استصغرتُ نفسي إلا بين يديهِ" وهذا الذي استصغر البُخاريُ نفسهُ بين يديهِ يقيناً أنهُ استصغر نفسهُ مع غيرهِ فالله لا يجعلُ لأحدٍ كمالاً مُطلق فالعامة يقولون إن لكُل شيءٍ سبع يعني آفة ويقولون إن سبع الجبال ما هو ؟ اللـــــــــــــــيل لماذا ؟ لأن الجبل على عظمتهِ وارتفاعهِ لا يُرى في الليل فكأنهُ غير موجود فيجعلون الليل آفة أو سبعً على الجبال في كلامهُم العادي هذا كلام العامة .

يقول ربُ العالمين
(ويسألونك عن الجبال)

وبدهيٌ أن يسأل القُرشيون نبيهُم عن هذهِ الجبال العظيمة (فقُل ينسفُها ربي نسفا) وهذا إخبارٌ بالنهاية لا إخبارٌ بالبداية لأن الجبال مرّ ذكرُها في القرآن مراحل عديدة :
* الله يقول (وإذا الجبالُ سُيّرت)
* وقال (فكانت هباءً مُنبثا)
* وقال (وترى الجبال تحسبُها جامدة وهي تمرُّ مرّ السحاب)
فذكر لها أحولاً وأطواراً لكن هنا حتى يُنهي الأمر معهم فذالك الشيءُ الشامخ لا يذهبُ إلا بالنسف (ويسألونك عن الجبال فقُل ينسفُها ربي نسفا فيذرُها) أي الجبال (قاعً صفصفا) والقاع بُقعة من الوادي

محاسن التأويل

الشيخ صالح المغامسي

معروفة (صفصفاً لا ترى فيها عوجاً) عوجاً أي ميلاً يعني هذهِ البُقعة (ولا أمتا) الأمت على الصحيح النتوء الشيء الظاهر الذي ينتأ في الجسد فهذهِ الجبال من شدّة أنها نُسفت حتى حجارة منها ملساء اجتمعت بعضُها على بعض فتكون شيءً ناتأً في الأرض لا يوجد لا يبقى شيء (لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا) متى هذا يا ربُنا وهذا هو القرآن وعظمتهُ يتبعُ بعضُهُ بعضا متى هذا يا ربُنا ؟

(لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا يومئذٍ يتبعون الداعي) الله يتكلم عن شخصية تدعُ الداعي اسرافيل ماذا يقول ؟

أيتُها العظامُ البالية أيتُها الأوصالُ المُتقطعة إنّ الله يدعوكنّ لفصل القضاء (يومئذٍ يتبعون الداعي لا عوج لهُ)

لماذا لا عوج لهُ ؟

لأن أهل الموقف هذهِ أول مرة يُحشرون لا يُوجد أحد مُميز بعلم يدري أين أرض الموقف فكُلهُم أستوُ في عدم علمهُم بالموقف فلابُد لهُم جميعاً أن يستوُ في إتباعهم لداعي (يومئذٍ يتبعون الداعي لا عوج لهُ وخشعت الأصواتُ لرحمن فلا تسمعُ إلا همسا)

يقولون أن طه حُسين يقول عن بعضِ شعرِ شوقي " إنّني لا أستطيعُ أن أشرحهُ ـ على أنهُ كان يُوصف بأنهُ عميد العرب الأدب العربي فيقول إذا شرحتهُ فككتُ طلامسهُ وألفاظهُ ذهب رونقهُ وأنت تفهمهُ كشعر أكثر مما تفهمهُ كشرح ـ إذا قيل هذا في كلام مخلوق فكيف يُقال بمن علّم شوقي البيان بمن أنزل القرآن بكلام الله جل جلالهُ .

فهذهِ (وخشعت الأصواتُ لرحمن فلا تسمعُ إلا همسا) والله لا أجدُ شيءً أُبينُ فيهِ مُراد الله وإنما هيبتُها في قراءتها (فلا تسمعُ إلا همسا) هذهِ تكفيك وقدّ فُسر الهمس بأنهُ وقع أقدامهُم ولا يُقالُ وقعُ نعالهم لأنهُم يخرجون ماذا ؟ حُفاة لكن وقعُ أقدامهم فُسّر بما فُسّر لكن الهيبة التي تقع في النفس لا يعلمُها إلا الله جل وعلا هذا موقف غيبي قادم (فلا تسمعُ إلا همسا)

(يومئذٍ يتبعون الداعي لا عوج لهُ وخشعت الأصواتُ لرحمن فلا تسمعُ إلا همسا يعلمُ ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بهِ علما)

بيان علم الله وقدّ مرّ معنا كثيرا (يومئذٍ لا تنفعُ الشفاعة)

لماذا تكلم عن الشفاعة هُنا ؟

لأن الإنسان جُبلُ أنهُم في حال الضيق يفزعون إلى غيرهم وهذا أمرٌ بدهيٌ مجبولٌ عليهِ النفس فإنّ المرء منّا اليوم يدخلُ دائرةً حكومية فإذا استعصى عليهِ مُنالهُ بدأ يبحثُ عن زيدٍ أو عمرٍ ليُحقّق لهُ مقصودة ، وليس هُناك كرب أعظم من كرب يوم القيامة ولا انقطاع أعظم من الانقطاع الذي يكون يوم القيامة فقال الله جل وعلا (يومئذٍ لا تنفعُ الشفاعة) يقطعُ السبيل على من يُفكّر في الشفاعة

ثُم يستثني رحمةً وقدرا (إلا من أذن لهُ الرحمنُ ورضي لهُ قولا) فذكر جل وعلا شرطي الشفاعة.

(إلا من أذن لهُ الرحمن ورضي لهُ قولاً * يعلمُ مابين أيديهِم وما خلفهُم ولا يُحيطون بهِ علما) أنا قدّمت وأخرت في الآيات عُذّراً.

ثُمّ قال الله : (وعنت الوجُوه)

وجوهُ من ؟

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

وجوهُ الخلائق كلِها (وعنت الوجوهُ للحي القيوم) وقد قال بعضُ أهلِ العلم إنّ الحي القيوم أسمانِ مُتلازمان هُما أسمُ الله الأعظم قال بهذا طائفة وقد ورد هذا الاسمُ الكريمُ المُتلازم في القرآن ثلاث مرات :

* ورد في صدر آية الكُرسي (اللهُ لا إله إلا هو الحي القيوم)

* وورد في فاتحة آل عمران (الم * اللهُ لا إلهِ إلا هو الحيُ القيوم)

* وورد في هذهِ الآية الكريمة التي بين أيدينا (وعنت الوجوهُ للحي القيوم)

وقد قال جمعٌ غير قليلٍ من أئمة الدين بأنهُ اسمُ الله الأعظم والعلمُ عند الله .

(وعنت الوجوهُ للحي القيوم وقد خاب من حمل ظُلما)

الظُلم إذا قالهُ الناسُ اليوم ينصرف على الجبروت ينصرف إلى سلب أموال الناس وهذا حق لكن إياك أن تصرفهُ في هذا الموقف صرفاً أولياً لتعلّقُ مع الناس لمـــــــــاذا؟

لأن هذا يُنافي أصلاً فهمُك للقرآن لأن الله جل وعلا مُحال أن يذكُر الله جل وعلا هذهِ المُقدّمة في العظمة كُلها وخشعت الأصواتُ لرحمن ولا شفاعة إلا لمن أذن لهُ الرحمن ، وعنت الوجوهُ للحي القيوم ثُمّ يتكلمُ عن قضية أن عبداً ظلم عبداً لكن لا يُوجدُ ظلم أظم من أن تجعل للهِ نداً وقد خلقك فأوّل ما يُصرف (وقد خاب من حمل ظُلماً) إلى من ؟ إلى أهل الإشراك إلى أهل الإشراك (وقد خاب من حمل ظُلماً)

ثُمّ قال الله :

(ومن يعمل) شرطية (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن)

فالإيمان مُتلازم مع العمل الصالح وقد يعملُ الإنسانُ عملاً صالحاً من حيثُ الجُملة لكنهُ غيرُ مؤمن كما يصنعُ بعضُ الغربيين بعضُ الكفرة من الرفق بالحيوان أو من قضية إغاثة الملهوف فهذا لا ينفعُ يوم القيامة .

(ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخافُ ظُلماً ولا هضما)

لا يخافُ ظُلماً لأن الله جل وعلا نزّه نفسهُ عن الظُلم لأن الله تبارك وتعالى نزّه نفسهُ عن الظُلم .

وقد جاء في الخبر الصحيح أن النبي صلى الله عليهِ وسلم ضحك كما في حديث علي رضي الله عنه قال قُلنا يا رسول الله ممّا تضحك ؟ قال أضحكُ من مُجادلة العبد ربهُ فإنهُ يقولُ يوم القيامة لا أقبلُ إلا شاهدً من نفسي فيُختمُ على جوارحِهِ على لسانه فتشهدُ عليهِ جوارحهُ فإذا شهدت عليهِ جوارحهُ خُلّي بينهُ مبين الكلام فيقولُ سُحقن لكُنّ وبُعداً فعنكُنّ كُنت أناضل } يعني عنكُنّ كُنت أدافع .

قال بعضُ أهلُ العلم حتى جوارحهُ التي كانت لهُ في الدُنيا عوناً لهُ على المعصية لما رأت يوم القيامة كانت شاهداً عليهِ عند من ؟ عند ربهِ فجوارحهُ قدّمت عظمة الله على علاقتها بصاحبها .

ولهذا قال الله جل وعلا (اليوم نختمُ على أفواهِهم وتُكلّمُنا أيديهم وتشهدُ أرجُلهُم بما كانوا يكسبون)

وقد اختلف العُلماء في السبب الذي من أجلهِ يُختمُ على الأفواه فقال بعضُ أهل الفضل ويُنسب هذا إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن السبب أنهم ينطقون بكلمة الكذب أنهم ينطقون بكلمة الكذب قال

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

الله جل وعلا عنهُم أنهُم قالوا (واللهِ ربنا ما كُنا مُشركين) فإذا قالوها يُختم على أفواههم .
وقيل أسبابٌ أُخر في سبب أن الله جل وعلا يختمُ على أفواههم فقيل : إن شهادة غير الناطق من الجوارح أعظمُ من شهادة الناطق يقصدون بها الجوارحِ أن شهادة غير الناطق يعني الجوارحِ أعظم من شهادة الناطق أي من شهادة جارحة اللسان .

نعودُ إلى الآية قال الله جل وعلا (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمنُ فلا يخافُ ظلماً ولا هضما)
فلا يُزادُ عليهِ ما لم يعملهِ ولا يُنقص منهُ ما قد عملهِ فالظلمُ هُنا يُفسّرِ بالزيادة وقد فسّرناهُ بالزيادة ليُقابل كلمة هظم وهو النقص (فلا يخافُ ظلماً ولا هضما)

(وكذالك أنزلناه قُرآناً عربياً)
بلسانٍ عربيٍ مُبين كما هو معلوم
(وصرّفنا فيهِ من الوعيد)
والوعيدُ مُقابلها الوعد والوعدُ يكونُ في الخير ويكونُ في الشر والوعيدُ لا ينصرفُ إلا في الشر وقولُ الله جل وعلا (وصرّفنا فيهِ من الوعيد) أي أن تخويف اللهِ جل وعلا لعبادهِ لم يأخُذ منهجاً واحداً وإنما أخذ عدةً طرائق فتارةً يذكُرُ الله أفرادَ أهلكهُم كالنمرود وقارون ، وتارةً يذكُرُ أممً أبادها كقوم ثمود وقوم عاد ، وتارةً يذكُرُ الله جل وعلا إخبارهُ بما أعد لأهلِ معصيتهِ وغير ذالك ممّا صرّف الله جل وعلا فيهِ من الوعيد كُلُ ذالك تذكرةً للعباد و تبصرةً للحاضرِ والباد .

قال سُبحانهُ
(وصرّفنا فيهِ من الوعيد لعلّهُم يتقون أو يُحدثُ لهم ذكرا)
لعلّ هذا التصريف يكونُ سبباً في أوبتهِم إلى ربهم جل وعلا .

ولمّا كانت الأمور لا يُمكن أن تقوم إلا بمشيئة الواحد القهّار قال جل وعلا بعدها
(لعلّهم يتقون أو يُحدث لهُم ذكرا * فتعالى اللهُ الملك الحق)
وهذهِ من أعظم آيات القرآن ثناءً على الله قالها اللهُ هاهُنا ،، وقالها جل وعلا في آخرِ سورة المؤمنون ،، وقالها في غير ما موضع فتعالى اللهُ الملك الحق عمّا يصفهُ الواصفون ممّن انتقصُ ربهُم جل وعلا لكن يُستثنى من هذا ما وصف الله بهِ عبادهُ الصالحون فوصفُ العباد الصالحين لربهِم غيرُ داخلين في الاستثناء (فتعالى اللهُ الملك الحق)

ثُمّ قال اللهُ لنبيهِ
(ولا تعجل بالقُرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيُهُ)وقد كان جبريل يُملي على نبينا صلى اللهُ علية وسلم القرآن فكان لهذا القرآن حلوةً في قلب هذا النبي الكريم يخافُ أن يتفلّت فيُسرع في الاستجابة لجبريل فأخبرهُ الله جل وعلا هُنا وأخبرهُ في القيامة (إن علينا جمعهُ) أي في صدرك (وقرآنهُ) أي في قراءتهِ عليكِ (ثُمّ إن علينا بيانه) أي تأويلهُ سيأتيك ظاهراً بيناً في الدُنيا والآخرة .

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

قال الله (و لا تعجل بالقُرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيُهُ وقُل ربِ زدني علما)

ومرّ معنا أن كلمة رب إذا جاءت في صيغة دُعاء لا تكونُ مُلازمةً للياء لكن زدني جاءت بالياء هذهِ ياء المُخاطب والنون التي أصلُ الفعل "زد" والضمير الياء هذهِ العرب تُسمّيها نون الوقاية تُسمّيها نون الوقاية . ويقولون إن الفعل لا يقبلُ الكسر النُحاة يقولون الفعل لا يقبلُ الكسر وياء المُخاطبة لا بُد لمن ألتحق بها أن يكونَ مُكسوراً فلو تكلّمت عن هذهِ الكُتب التي بين أيديكُم ونسبتها إلى نفسك تقول هذا كتابي فالباء لحقها الكسرُ لإتصالها بالياء سواءً كانت محل جر أو لم تكُن في محل جر فالياء قوية لا تقبلُ من يلتصق بها إلا أن يكونَ مكسورا ، والكسرُ من خصائص الأسماء لكنّهُ ليس من خصائص الأفعال فلمّا ألتصق الفعل بالياء احتاروا لا الياء ترضى أن يقبل معها أحدٌ غيرُ مكسور ولا الفعلُ يرضى بأن كون مكسوراً فجاءوا بهذهِ النون فجعلوها بين الاثنين ــ هذهِ فائدة نحوية ــ جعلوها بين الاثنين وسمّوها نون الوقاية ويقصدون بتسميتها نون الوقاية أنها وقت الفعل الكسر "زدني" .
هذا توضيحٌ لأنهُ يمرّ معك كثيراً في القرآن ومن حقك حتى تفهم القرآن أن تفهم طريقة العرب في كلامهِ .

ــ حتى تثبُت المعلومة ــ

هذا كوب ليس بينهُ وبين هذهِ المائدة إن صحت التعبيرُ حاجز فلو أردنا أن نقي هذهِ المائدة ما يعلقُ بها من الكوب نأتي بشيء منديل أو ما شابههُ نضعهُ ثُمّ نضعُ الكوب عليهِ فهذا ما وُضع وقى المائدة ما يتعلّقُ بها من أثر الكوب ــ حتى تثبُت المعلومة ــ فلهذا تُسمّى نون الوقاية هذا العلاقة النحوية .

أما العلاقة العامة فإن الله يقولُ لخيرِ خلقهِ
(وقُل ربِ زدني علما)
العلم نور وفضلٌ من الله جل وعلا محض ولهُ شروط شــروط تتعلّق بالآخرة هذا ليس مجالُ الكلام فيهِ لأن هذا كُلُ امرئٍ حسيبُ نفسهِ من أراد بالعلم وجه الله أو لم يُرد وجه الله .
لكن العلم حتى يملكهُ الإنسان لابُد فيهِ من أمـــــــــــور:.

1\ عدم التفريط في علوم الآلة هذا أهم مُقتضياتهِ أهمُ مُقتضياتهِ عدم التفريط في علوم الآلة لأن من فقد علم الآلة لن يصل إلى مُبتغاة عدمُ التفريط في علوم الآلة مع وهذا مُهم عدم الإغراق في علوم الآلة لأنها وسيلة وليست غاية عدم الإغراق في علوم الآلة هذا مُهم جداً .
2\ الأمرُ الثاني :
عدم احتقار أيُ شخصٍ أن تأخُذ عنهُ علماً من حيث المعلومة نفسها من حيث المعلومة نفسها فإجلالُك لغيرك يُبنى على أمورٍ عدة أما قبُولُك للمعلومة ليس لهُ علاقة بذات الشخص ليس لهُ علاقة بذات الشخص قال صلى الله عليهِ وسلم لأبي هُريرة { صدقك وهو كذوب } فأقرّهُ على المعلومة التي منحها إياهُ الجني أن من قرأ آية الكُرسي لا يزالُ عليهِ من الله عارض مع أن القائل جنيٌ سرّاق لكن لا علاقةً لنا بالقائل العلاقةُ لنا مُهمّة جداً بقضية المعلومة .
3\ من شروط تحصيلهِ :أن العلم يُجمع بمعنى أنهُ لا بُد من مراحل حتى يصل الإنسانُ إلى كثيرٍ من بُغيتهِ لا إلى كُل بُغيتهِ إلى كثيرٍ من بُغيتهِ .

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

قال الشافعيُ :

وصُحبة أُستاذٍ وطول زماني

فلا يُمكن أن يطير أحدٌ قبل أن يُريّش فيأخُذهُ الإنسان على تأوده على مهل .

4\ لابُد في العلمِ وأنا أتكلم من غير ترتيب لا بُد في العلم من المُراجعة لأن علم الأنبياء وحي لا يحتاجون فيهِ إلى مُراجعة أما نحنُ معشر المُتعلمين فلابُد فيهِ من المُراجعة والمُدارسة والمُذاكرة والعرض حتى يثبُت في القلب والعقل حتى يثبُت في القلب والعقل .

ــ هنا فائدة ــ

يقولون إنّ المأمون سابع خُلفاء بني العباس قال لأبي عليُ المنقري يا أبا علي فيك ثلاثةُ عيوب قال وما هي ؟

قال إنك تلحنُ في كلامك وتكسرُ الشعر ولا تُقيمهُ هذهِ اثنتان ولا تُجيدُ الكتابة .

فقال يا أمير المؤمنين أما اللحنُ فرُبما سبق لساني منهُ شيء ، وأما الكتابةُ والشعر فلا حاجة لي بهما فإني رأيتُ الله نزّه نبيهُ عن الكتابة ونزّه نبيهُ عن الشعر .

فقال المأمون : يا أبا علي كُنتُ أظنُ أن فيك ثلاثة عيوب فإذا هي أربعة :. الثلاثة التي ذكرت وجهلُك ، ثُم قال لهُ يا جاهل إن عدم فهم الشعر وعدم القراءة والكتابة في حق النبي صلى الله علية وسلم فضيلة حتى لا يشُكنّ احدٌ في وحيهِ الذي أعطاهُ اللهُ إياه ، أما في غيرهِ فهي منقصة عدمُ فهمِهِ لشعر أو عدمُ إجادتهِ للقراءة و الكتابة فهي في حقهِ منقصة لأن الإنسان إذا كان لا يفقهُ الشعر ولا يُجيدُ القراءة والكتابة أنى لهُ أن يتعلّم لابُد أن يكون هذا مهونٌ في الأمرِ فهي في حق غيرهِ منقصة وفي حقهِ صلوات الله وسلامهُ فضيلةِ (وما كُنت تتلوا من قبلهِ من كتابٍ ولا تخطهُ بيمينك) .

استطراد آخر من التكلُف قال بعضُ الناس عيـــــــــــــاذاً بالله الرسول كان يعرف يكتُب قيل لهُ والله يقول (وما كُنت تتلوا من قبلهِ من كتابٍ ولا تخطهُ بيمينك) قال ما هي مُشكلة كان الرسول يكتُب بشماله فهذا نوعٌ من العنت حتى يخرُج منها لكن الله أراد نفيُ الكتابة بالجُملة .

والمقصود أن العلم كما ذكرنا يحتاجُ إلى مُراجعة ويحتاجُ إلى أخذٍ وعطاء.

5\ كذالك يحتاجُ العلم وهذهِ يعني مُهمّة جداً في القضية إذا تبنيت رأيً لا تجلب على خصمك فيهِ بخيلك ورجلك فرُبما تراجعت عن هذا القول ذات يوم فاترُك لنفسك في الحياة كلها خط رجعة تؤبُ إليهِ إلا في مسائل العقائد فالعقائد مبنية على اليقينيات لكن في المسائل الفقهية والأخذ والعطاء اجعل لنفسك خط رجعة فرُبما مع المُدارسة والأخذ والعطاء يتبينُ لك خلاف الذي توصّلت إليهِ .

الكلامُ في العلم أمرهُ طويل لكن النبي صلى الله علية وسلم يقولُ { إن الملائكة لتضعُ أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع } فإذا كانت ملائكةُ الرحمن ترضى عن من خرج قصداً في طلب العلم فهذا دلالةٌ على فضلهِ وسموهِ كقصدٍ في ذاتهِ.

لكن إذا جئنا في الأشياء الروحانية الإيمانية فإنّ ما أجمل العلم أن يدُلَ على الله وإنما العلمُ الخشية كما قال الحسنُ البصريُ رحمهُ الله وهو مأخوذٌ من قول الله (إنما يخشى اللهُ من عبادهِ العُلماء)

زادني اللهِ وإياكُم تبصرةً بما نقولُ ونسمع

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

وفقنا الله وإياكُم لما يُحبُ ويرضى وألبسني اللهِ وإياكُم لباسي العافية والتقوى وصلى اللهُ على مُحمدٍ وعلى آلهِ والحمدُ لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي بنعمهِ تتمُّ الصالحات وأشهدُ أن لا إله إلا اللهِ وحدهُ لا شريكَ لهُ خلق فسوى وقدّر فهدى وأخرج المرعى فجعلهُ غُثاءً أحوى وأشهدُ أن سيدنا ونبينا مُحمدً عبدهُ ورسُولهُ صلى الله علية وعلى آلهِ وأصحابهِ وعلى سائر من اقتفى أثرهُ وأتبع منهجهُ بإحسانٍ إلى يوم الدين ....

لعل هذا هو اللقاء الأخير بالنسبةِ لسورةِ طه فأرجوا الله جل وعلا أن يوفقنا الله اليوم في إنهاءِ ما تبقى من هذهِ السورة الكريمة ...

قال الله جل وعلا فيما وقفنا إليهِ

(ولقد عهدنا إلى ءادم من قبل فنسي ولم نجد لهُ عزما)هذهِ المقطعُ من السورة يتكلمُ عن عهد اللهِ جل وعلا لأبينا آدم وأدم قبلُ أن أتكلم عن قصتهِ هنا يجبُ أن نستصحبَ ما منّ الله جل وعلا بهِ عليهِ وفائدةُ هذا الاستصحاب أن الإنسان أحياناً إذا رأى كلام اللهِ عن أحدٍ أنهُ وقعت منهُ وقع منهُ خلاف الأولى أو وقع منهُ المعصية يقع في نفسهِ شيء من غير أن لا يشُعُر في النفس من ذالك المذكور فسداً لهذا الباب واتبعاً لسُنّة . النبي صلى الله عليهِ وسلم يقول { لا يقُلُ أحدٌ أنا خيرٌ من يونس ابنُ متّى } من هذا الباب .

نقول إن آدم عليهِ السلام فضلهُ الله بأمور لم يُعطيها أحدً من الخلق لا نبينا صلى الله عليهِ وسلم ولا غيره هذهِ الأمور منها:

**

أن الله جل وعلا خلقهُ بيدهِ وهذهِ خصيصة لهُ من دونِ سائرِ بني آدم .
ونفخ فيهِ من روحهِ
وأسجد لهُ ملائكتهُ
وعلّمهُ الأسماء كُلها
وهي أربعُ خصالٍ لم تُعطى لأحدٍ غيرهِ علية الصلاةُ والسلام هذهِ واحده .

**

الأمر الثاني :أن وجههُ وهذا مرّ معنا وجه آدم مُنتهى الكمال البشري وقُلنا إن يُوسُف أُعطي شطر الحُسن أي شطر الحُسن من مــن ؟ من آدم عليهِ السلام شطر حُسن آدم .

هذا آدمُ عليهِ السلام قال الله (ولقد عهدنا) كلمة عهدنا عهد لفظ يُستخدم في التعظيم والتفخيم ولا أُحبُ أن يقولهُ الفردُ من الناس عهدتُ إلى فُلان أن يفعل كذا وإن كان مُستخدماً في اصطلاحات المؤرخين لكن أرى أن لا يُستخدم وأنهُ يتعلّق بذات الله لكنني لا أجزمُ أنهُ لا يجوز .

والله يقول (ولقد عهدنا إلى ءادم من قبلُ) أي من قبل موسى من قبل خبرهِ من قبل هذا كُلهِ الذي قصصناهُ عليك (فنسيَ ولم نجد لهُ عزما)

= عبّر الله هنا بماذا ؟

بالنسيان وقال بعد آيات (فعصى) وهذا أشكل على العُلماء .

= هل تُنسب المعصية لآدم أو لا تُنسب مع أن الله صرّح بها ؟

لكنني أقول في كلام لابن العربي في أحكام القرآن جيدٌ عظيم فحواهُ

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

أراد أن يقول ذالك العالم الجليل " أن كلام الله عن آدم غيرُ كلامنا نحنُ عن آدم
فكلامُ الله جل وعلا عتابٌ فيهِ شيءُ من التثريب لكن خطابُ ربٍ لعبدهِ
أما نحنُ أبناء لآدم فنتكلمُ عن أبينا النبي آدم "
ونبوةُ آدم ثابتة قيل يا رسول الله أكان آدمُ نبيا قال نعم نبيٌ مُكلّم .. " الحديثُ صحيح " ..
الله هنا يقول (ولقد عهدنا إلى ءادم من قبلُ فنسيَ ولم نجد لهُ عزما)
= ما العهدُ الذي عهدهُ الله لآدم ؟
بالاتفاق أن لا يأكُل من ؟ من الشجرة .

(وإذ قُلنا للملائكةِ اسجدوا لأدم فسجدوا إلا إبليس أبى)
أمتنع أمتـــــــــــنع كبراً والخطايا يا بُني وقد مرّ معك أُصولها ثلاث
أُصول كُلُ خطيئة ثلاث :
الكبر
والحسد
والحرص
فوالله ما عصى الله أحد إلا من باب هذهِ الثلاث من واحده من هذهِ الثلاث الكبر، أو الحسد ، أو الحرص. فالحرص بابٌ لشهوات والحسد بابٌ للبغي والكبر بابٌ للبغي والشهوات وبابٌ لردّ ما جاء الله جل وعلا بهِ ولا يُعصى إلا بإحدى هذهِ الثلاث .
كلُ المعاصي تندرج في هذا الباب .

يقولُ ربُنا :
(وإذ قُلنا للملائكةِ اسجدوا لأدم فسجدوا إلا إبليس أبى * فقُلنا يا ءادم إنّ هذا) أي إبليس (عدوٌّ لك ولزوجك)
ولم يقُل ولزوجتك والأفصح أن يُقال في المرأة زوج زوجه لا يُقال زوجتهُ يُقال زوجه (إنّ هذا عدوٌّ لك ولزوجك فلا يُخرجنّكُما) آدم وحواء (من الجنةِ فتشقى) وقول الله من الجنة إحدى الأدلة على أن المقصودُ بها جنةُ عدن لأنهُ لا يستقرُّ في الذهنِ هُنا إلا جنةُ عدن (فلا يُخرجنّكُما من الجنةِ فتشقى) وجاءت فتشقى بلفظ الإفراد وهذا يدلُ على أن المرأة تبعٌ لزوج وأن الإنسان الرجُل هو المُكلّف بالشقي .
ومعنى الآية :.
أن الجنة يا آدم كُفيت أن تعمل فيها وتكُد على أهلك فخُرُجك منها سيدفعُك إلى الكد والسعي في طلب الرزق وقوتِ أبناءك وأهلك فلا يُخرجنّك الشيطانُ منها فتشقى ويُصبح تبحث كما يُقال عرق الجبين وتذهبُ وتكُد .
والنبي صلى الله علية وسلم يقول في حق جُليبيب { اللهم لا تجعل عيشهُما كدا وصُبّ عليهم الخير صبا }
والمقصود لم يقول الله فتشقيا لأن الرجُل هو الأصلُ في الكد (فلا يُخرجنّكُما من الجنةِ فتشقى) .
قال الله :
(فوسوس إليهِ الشيطانُ قال يا ءادم هل أدُلّك على شجرة الخُلد ومُلكٍ لا يبلى)شجرة الخُلد هذا باب الحرص هذا باب الحرص .
قبلها قال الله جل وعلا يُرغبُ آدم في الجنة (إن لك ألاّ تجوع فيها ولا تعرى * وأنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى) [واضح] (إن لك ألاّ تجوع فيها ولا تعرى * وأنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى) .قال الله بعدها (فوسوس

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

(إليهِ الشيطانُ)
نقف عند هذهِ
(ألاّ تجوع فيها ولا تعرى * وأنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى)
نفُك المُفردات

الجوع معروف عدم الأكل الأصل ماذا يُقابل الجوع الأصل ماذا ؟ لا ماذا يُقابلهُ يعني قرين لهُ العطش يُقال فلانٌ جائع وفلان عطشان (إن لك ألاّ تجوع فيها ولا تعرى) لم يقُل اللهِ ولا عدمُ الظمأ أتى بالعُري يُقال (وأنك لا تظمؤا فيها) تعطش ولا تضحى ضحي الإنسان بمعنى برز لشمس ولهذا يُقال لوقت ظهور الشمس واشتدادها ضُحىً .
هذا عند البلاغيين يا أخي يُسمّى تطابُق تضاد يُسمّى تطابُق تضاد والمعنى أنهم يقولون :
إن الله عدل عن قول أن لا تجوع فيها ولا تظمأ ما قال لا تجوع فيها ولا تظمأ ولم يقُل تعرى مُقابل الظهور في الشمس قالوا لأن العُري جوعُ الظاهر وعدمُ الأكل جوع الباطن وعدمُ الشُرب حرُّ الداخل والظهور لشمس حرُّ ماذا ؟ حرُّ الظاهر [واضح]
الجوع عدمُ الأكل في الباطن جوع الباطن عدمُ الأكل جوع الباطن ، والعُري جوع الظاهر ، وعدمُ الماء الذي هو الظمأ حرُّ الداخل والظهُورُ لشمس حرُّ الظاهر فهذا يُسمّى تطابُق تضاد وأهلُ اللُغةِ إذا ذكروا هذا في القرآن يُعرّجون على بيتين للمُتنبي المُتنبي شاعرٌ عباسي كان مشهوراً بالإغراق في الغرور والكبر عياذاً بالله وهو القائلُ عن نفسهِ :

أيُ عظيمٍ أتقي وأيُ مكانٍ أرتقي * وكُلُ ما خلق الله وما لم يخلقِ**
مُحتقرٌ في همتي * كشعرةٍ في مفرقِ**

ومن دوّن لهُ سيرة ولا أتحمّلُ وزر نقل يقول إنهُ لم يسجُد لله قط لا يُعرف لهُ أنهُ كان يُصلي .
هذا الرجُل كانت فيهِ أنفة عجيبة فكان يُنشد شعرُه بيني يدي سيف الدولة الحمداني وهو جالس وودّعهُ بقصيدة بعد أن أشتد عليهِ خُصومهُ
واحرّ قلباه ممّن قلبهُ شبمُ ــ شبم بمعنى بارد ــ ومن بجسمي وحالي عندهُ سقمُ
مالي أُكتّم حُباً قد برى جسدي ** وتدهي حُب سيف الدولةِ الأُممُ
إن كان يجمعُنا حُبٌ لغُرّتهِ * فليت أن بقدرِ الحبُ نقتسمُ**

الآن هذا يتكلم بين يدي أمير فبدلاً أن يصرف الكلام إلى مدح الأمير صرفهُ إلى نفسهِ :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ** وأسمعت كلماتي من بهِ صممُ
أنام ملأ جفوني عن شواردها ** ويسهر الخلقُ جرّها ويختصمُ
الخيل والليل والبيداء تعرفُني ** والسيفُ والرمحُ والقرطاس والقلمُ
ما أبعد العيب و النُقصان عن شرفي ** أنا الثُريا و ذان الشيبُ والهرمُ

هذهِ جُملة أبيات قالها بين يدي الأمير ترك حلب ديار بني حمدان وأتجه إلى مصر أيام حُكُم كافور الإخشيدي كان كافور فطناً سياسياً هذهِ الفطنة جعلت كافور يُقرّب المُتنبي بالقدر الذي يستفيد منه وكان المُتنبي يُلحّ عليهِ يطلبُ الولاية فلا يُعطيهِ فلمّا سأل بعضُ خواص كافور عن سبب منعهِ الولاية للمُتنبي قال هذا أنظُرُ ماذا يراه في نفسهِ وهو شاعر هذا كيف لو أعطي ولاية ماذا سيفعل ؟ سيطغى.
والمُتنبي أصلاً قال:

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

ومن يجعل الضرغام بازاً لصيدهِ ** تصيدهُ الضرغامُ فيما تصيدُ

والعاقلُ لا يستخدمُ من هو أعظم منهِ ، العاقلُ لا يستخدمُ من هو أعظم منهِ
لأنهُ قد ينقلبُ عليك فيأخُذ ،،
نعود للقضية ما دخلُ المُتنبي بالآيات قُلنا هذا التضاد في التطابقُ وقف المُتنبي ذات يومٍ في حربٍ تُسمّى الحدثُ الحمراء لسيف الدولة الحمداني أنتصر بها فقال قصيدهُ الشهيرة التي مطلعُها :

على قدرِ أهلِ العزم تأتي العزائمُ ** وتأتي على قدر الكرام المكارمُ
وتعظمُ في عينالصغير صغارُها ** وتصغر في عين العظيم العظائمُ
حتى وصل إلى بيت يمدح ممدوحهُ قال:

وقفت وما في الموتِ شكٌ لواقفٍ ** كأنك في جفن الردى وهو نائمُ
تمرُّ بك الأبطال كُلم هزيمةً ** ووجهك وضاحٌ وثغرُك باسمٌ

فقالوا إن الحمداني استدرك على المُتنبي هذا البيت فأفهمُ المُتنبي بمُرادهِ الذي هو بين أيدينا الآن بما يُسمّى تطابُق ماذا ؟ تطابُق التضاد فجعل كُل مصرعي بيتٍ بما يُلائمُهُ وهذا مأخُوذٌ من نسق القرآن حتى يُعلم أن القرآن في المرتبة الأعلى من الفصاحة وما جاء أحدٌ بأسلوبٍ ولن يأتي كما قال الله يرقي على أسلوبِ ماذا؟ على أسلوب القرآن فكُلّهم أصلاً مُغترفٌ من أسلوب القرآن أنكر ذالك أو أعترف ..

نعود إلى ما نحنُ فيهِ
(إنّ لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى * و لا تظمأُ فيها ولا تضحى * فوسوس إليهِ الشيطانُ قال هل أدُلك على شجرة الخُلد)ه
ذا حرص لأن كُل ثمار الجنة أباحها الله جل وعلا لأدم بقيت ماذا؟ بقيت شجرة فدخل إبليس على أبينا آدم من باب الحرص (هل أدُلك على شجرة الخُلد ومُلكٍ لا يبلى) طبعاً وافق لأن ما بعدها يدُلّ عليها قال الله (فأكلا) ألف التثنية آدم وحواء (فأكلا منها) أي من الشجرة (فبدت لهُما سوءاتُهُما) وتُسمى السوءة سوءة تُسمّى العورة سوءة لأنهُ يسوءُ المرءَ إظهارها الإنسان لا يرضى العاقل بظهُورها (فبدت لهُما سوءاتُهُما وطفقا يخصفانِ عليهما) طفقا أي بمعنى بداء من أفعال الشروع عند النحويين تعملُ عمل كان إلا أنهُ يُشترطُ في خبرها أن يكون جُملةً فعليهِ (يخصفانِ عليهما من ورق الجنة)
قال الله (وعصى ءادمُ ربهُ فغوى)هذا نص قال بعضُهم خلاف الأولى خرّجهُ بغضُهم قبل أن يُنبه قال بعضُهم صغائر تقع من الأنبياء الصغائر بكُلٍ قال العُلماء وأنا أُجنّب نفسي .
لكن أقول :
إذا تكلّمنا عن الأنبياء نتكلم بنفس طريقة القرآن ولا نُقحمُ أنفُسنا فقي الكلام عن أنبياء الله جل وعلا إلا بما حكاهُ الله جل وعلا عنهم تأدُباً مع أبينا آدم علية الصلاة والسلام ومع غيرهِ من إخوانهِ وأبناءهِ من الأنبياء .

نعود فنقول قال الله (وعصى ءادمُ ربهُ فغوى) ثُمّ قال الله (ثُمّ أجتباهُ ربُهُ فتاب عليهِ وهدى * قال اهبطا منها جميعاً بعضُكم لبعضٍ عدوّ)
هنا لا تفهم أن الأمر بالهبوط عاقبة لتوبة وإنّما قدّم الله التوبة حتى يُبين لك لا تسترسل فيما بعد ترى هذا النبي تاب الله عليهِ [واضح]

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

فقال (اهبطا منها جميعاً) ليست مُفرّعة على التوبة مُفرّعة على ماذا؟ على المعصية لكنّ جعل الله التوبة قبلها والاجتباء والهداية حتى يُريحُك في تلقي الخبر وأنّ هذا النبي الصالح تاب الله عليهِ .

كمن تُريدُ أن تُخبرهُ بأن قريباً لهُ أصابهُ مكروه فقبل أن تُخبرهُ أن ابنهُ دهمتهُ سيارة مثلاً قُل لهُ ترى الابن بخير وعافية ولله الحمد الآن ثُمّ ممكن أن تقُصّ عليهِ كيق دهمتهُ السيارة لكن لا تبدأ بالأول فإن هذا يجعلهُ في رُعب ينتظرُ النتيجة .

فأسلوبُ القرآن قدّم النتيجة الله يقول لنبيهِ (عفا الله عنك) ثُمّ أعطاهُ العتاب(لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) لكن لا تخشى من هذا العتاب فقد قدّمنا (عفا الله عنك) .

هنا (ثُمّ أجتباهُ ربُهُ فتاب عليهِ وهدى)فرفع الله مقامة وغفر الله خطيئتهُ وقبل الله توبته .
لكن قال بعدها : ..
(قال اهبطا منها جميعاً بعضُكم لبعضٍ عدوّ فإمّا يأتينكُم منّي هدى فمن اتبع هُداي فر يضلَّ لا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن لهُ معيشةً ضنكا)
ضيقاً في العيش يكونُ في القبر يكونُ في الحياة الدُنيا لا يشعرُ بلذة ما هو فيهِ ولو كثرُة أمولهُ وأولادُهُ (ومن أعرض عن ذكري فإن لهُ معيشةً ضنكا ونحشرهُ يوم القيامة أعمى * قال ربِ لما حشرتني أعمى وقد كُنت بصيرا)
وقد قال الله أنهم يُحشرون عُمياً وصُماً وبُكما
(قال كذالك أتتك ءاياتُنا فنسيتها) بتركها (وكذالك اليوم تُنسى) بأن تُترك و إلا النسيان لا يجوزُ على الله لكن هذا يُسمّى عند البلاغيين مُشاكله يُسمّى مُشاكله (وكذالك اليوم تُنسى * وكذالك نجزي من أسرف ولم يُؤمن بآيات ربهِ ولعذابُ الآخرةُ أشدُ وأبقى)
وهذهِ ظاهرةُ المعنى مرّت معنا كثيرا ...
ثُمّ أمر الله بالتدبُر فيما سبق:..
(أفلم يهدِ لهُم كم أهلكنا قبلهُم من القرون)
الخطابُ في المقام الأول لكُفّار قُريش
(أفلم يهدِ لهُم كم أهلكنا قبلهُم من القرونِ يمشون في مساكنهِم)
يقول الله عن قوم لوطٍ وحجر صالح (وإنّهُما لبإمامٍ مُبين) واضحة وقال (وإنّها لبسبيلٍ مُقيم) ما زالت أثار باقية تدلُ على أصحابها حتى يتعظ الخلق وحتى يتنبّه من كتب الله جل وعلا لهُ النجاة (أفلم يهدِ لهُم كم أهلكنا قبلهُم من القرونِ يمشون في مساكنهِم إنّ في ذالك لاءياتٍ لأُولي النُهى)وقد مرّ معنا قبل لقاءين أو أكثر أن كلمة (أُولي النُهى) لم ترد في القرآن إلا مرتين كلاهُما في سورةِ طه هذا موضع والموضعُ الذي قبله منها خلقناكم وفيها نُعيدكم ومنا نُخرجكم تارةٍ أُخرى حولها الآية ذكر الله (إنّ في ذالك لأياتٍ لأُولي النُهى) ذكر الله جل وعلا إنزال السماء والمطر وأخبر أن في ذالك آيات لأُولي النُهى وهنا تكرّر نفس المعنى وأولي النُهى أهل العقول وهذا يدلُ على أن الإسلام عني كثيراً بالعقل البشري .

ومن أعظم الدلائل على عناية الإسلام بالعقل أن الله جل وعلا ذكر العقل مُغيباً ، ومؤقتاً ، ومُغيباً تغييباً جُزئياً .فالمُغيب كامل يُسمّى مجنون

والمُغيب عارض يُسمّى نائم
والمُغيب مؤقت الصغير لم يصل عقلهُ إلى النُضج ،
مُغيب كامل هذا المجنون ،، ومُغيب بعارض هذا النائم ،، ومُغيب عقلهُ مؤقتاً هذا الصغير وفي كلا الثلاث الأحوال رفع الله قلم ؟ قلم التكليف رفع الله قلم التكليف إذاً ما مناطُ التكليف ؟ العقل ما مناطُ التكليف العقل.
والعقلُ أصلاً يدلُ على وجود الله لكن لا تقوم الحُجة بالعقل وحده لكن لا تقوم الحُجة بالعقل وحده.
(إنّ في ذالك لاءياتٍ لأُولي النُهى)

ثُمّ قال الله جل وعلا
(فاصبر على ما يقولون وسبّح بحمد ربك قبل طلوعِ الشمس وقبل غُرُبها ومن ءاناى الليل فسبّح وأطراف النهارِ لعلّك ترضى)التسبيح هنا الأظهر أنهُ بمعنى الصلاة لقد ذكر اللهُ في هذهِ الآية المواقيت الخمس : (فاصبر على ما يقولون) الصبر قرين الصلاة في كلام الله (واستعينوا بالصبرِ والصلاة) { أرحنا بها يا بلال} عند المصائب (فاصبر على ما يقولون) من تكذيبك ورد رسالتك وقدحهم في إلهك وزعمهِم أن الأصنام تنفع وتضُر جُلة ما قالوهُ .
(وسبّح بحمد ربك) الصلاة متى ؟ (قبل طلوع الشمس) وهي صلاة الفجر (وقبل غُرُبها) صلاة العصر (ومن ءاناى الليل) صلاةُ العشاء (وأطراف النهار) لنهار طرفان بعد زوال الشمس عندما تتوسط في كبد السماء وعندما تجب وتسقُط وقت الغروب والأولى يتعلّقُ بها وقت صلاة الظُهر ووقت سُقُوطها يتعلقُ بهِ صلاة المغرب .
فإن قال قائل كيف عبّر الله بأطراف ولم يُعبّر بطرفي ؟
قُلنا إن هذا أسلوبٌ عربيٌ معروف وإنّ العرب إذا أمنت اللبس تُعبّرُ بالجماعة عن الإفراد وإنّ العرب إذا أمنت اللبس تُعبّرُ بالجمعِ عن الإفراد أو عن التثنية إذا أمن اللبس كما في هذهِ الآية ونظيرهُ قول الله جل وعلا (إن تتوبا) بالتثنية (إلى اللهِ فقد صغت قُلُوبكما) جمعها (فقد صغت قُلُوبكما) فجمع قلوب وليس لعائشة وحفصة إلا كلاهما لها قلب لهما قلبان لكنّ هذا أسلوبٌ عربي .
ولهذا نقول إن من أهم الطرائق إلى معرفة كلام الله معرفة أساليب العرب في كلامها ..
قال الله جل وعلا
(وسبّح بحمد ربك قبل طلوعِ الشمس وقبل غُرُبها ومن ءاناى الليل فسبّح وأطراف النهارِ لعلّك ترضى) ..
هذهِ (لعلّك ترضى) يحسنُ الوقوف عندها والمعنى أن هذهِ الصلوات سببٌ في رضوان الله عنك فإذا رضي الله عنك أرضاك الصلوات سببٌ في رضوان الله عنك فإذا رضي الله عنك أرضاك .
ولهذا قال بعضُ أهل الفضل ليس الشأن في أن تُحب ربُنا فهذا حقٌ له ولكنّ الغاية والمطلب أن يُحبّنا ربُنا جل جلالهُ بلـــــــــــــــغنا الله وإياكُم ذالك
(لعلّك ترضى)
ثُمّ أدب الله
(ولا تمُدنّ عينيك إلى ما متعنا بهِ أزواجاً منهم زهرة الحياة الدُنيا لنفتنهُم فيهِ ورزقُ ربك خيرٌ وأبقى)
هذهِ الآية تُبينُ أن من أعظم ما يحولُ بين العبدِ وبين ربهِ النظر في ملذّات الدُنيا وهذهِ الدُنيا من حقارتها على الله أنهُ لم يأذن بالمعصية إلا فيها من حقارتها على الله أنهُ لم يأذن بالمعصية إلا فيها ولو كانت تزنُ

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

عند الله جل وعلا جناح بعوضةٍ لما سقى منها كافراً شربة ماء وهي على اسمها دُنيا أي نازلة والتعلّقُ بها تعلّقاً كاملاً وجعلها في القلب من أعظم ما يحول ما بين العبد وما بين ما يُريدهُ عند الله من الشرف العظيم والجنة والمآل الكريم وقد حمى الله جل وعلا أنبياءهُ ورُسُله منها فمن أعطاهُ اللهُ منها كسُليمان وداود عليهما السلام جعلها لهُما عوناً على طاعتهِ كأصحاب المال والثراء من أصحاب نبينا صلى الله علية وسلم لكنّها في الجُملة لا ينبغي أن يستقرّ محبتُها في القلب ونبيُنا عليهِ الصلاة والسلام خُيّر ما بين أن يكون نبياً ملكا أو أن يكون نبياً عبداً فاختار الثانية واختيارهُ لثانية يعني أنهُ سيُبتلى فيلتزم بها فلمّا كانت تأتيهِ الغنائم لم يكُن لهُ منها حظٌ ولا نصيب صلواتُ الله وسلامهُ عليهِ إلا بقدرِ ما يقوتُ بهِ أهلُهُ وإذا جلس يقول { اجلس كما يجلس العبد } ويأكلَ يأخُذُ الذراعِ فينهسُها نهساً فعل من هو مُتشوقٌ إليها لا من هو متعودٌ عليها ، ويدخُلُ عليهِ عُمر وقد أثر الحصير فيهِ فيحزنُ شفقةً عليهِ فيذكرُ كسرى وقيصر وما هُما فيهِ فيقولُ { أفي شكٍ أنت يا ابن الخطاب أولئك أقوامٌ عُجّلت لهُم طيّباتهُم في الحياة الدُنيا } .
والتعلّقُ بالدُنيا يحولُ بين المرء وبين حتى معالي الأمور لأن من يرومُ مجداً لا ينبغي لهُ أن يتعلّقُ بالدُنيا لأن التعلّقُ بالدُنيا يُرث أمرين :
يُورث الجُبن ،، ويُرث الحرص وهو الطمع
ومن كان حريصاً أو جباناً لا يُمكن أن يسود

لولا المشقةُ ساد الناس كلهُمُ ** الجود يفقر والإقدام قتّالُ

لكن من طلب معالي الأمور لابُد أن ينزع الدُنيا من نفسهِ يجعلُها مطية لما يُريد لا يجعلُها في ذاتها غاية وأنظر لمن عبد الدينار والدرهم وتعلّق بهما كيف أحولهُما وانخفاضِ سوق الأسهُم في المال في الزمن القريب من لقاءنا هذا أكبر دليلاً على تعلّقُ فئامٍ كثيرٍ من الدُنيا صحيحٌ أن الإنسان لا يتحملُ الخسارة إذا وقعت لا يُلام الناس يعني لوماً وعتباً قاسيا لكن لا ينبغي للعاقل أن يتعلّق بها تعلّق من والعياذُ بالله يصلُ في مراحل حياتهِ إلى أن الرزقِ لهُ طريقٌ واحد والله يُعلّم عبادهُ ويُأدبهُم ويقول (أمّن هذا الذي يرزُقكُم إن أمسك رزقه بل لجّو في عتوٍ ونفور) ومن عرف الله جل وعلا حق المعرفة علم أن أسباب الرزق والعطاء ليست أبداً محصورةً في طريقٍ في طريــقٍ واحد لكنّها من رازقٍ واحدٍ هو الله فاللهُ يقول لنبيهِ (ولا تمُدنّ عينيك) وهذا يلزمُ من خلالهِ أن لا يُقلّب الإنسان طرفهُ كثيراً في متاعِ أهلِ الحياة الدُنيا قدر الإمكان (ولا تمُدنّ عينيك إلى ما متعنا بهِ أزواجاً منهم زهرة الحياة الدُنيا)
ولماذا قال اللهُ زهرة ؟
لأن الزهرة يراها السامعون التالون للقرآن فيرون أنها ما تلب أن تظهر حتى قليلاً ثُمّ تذبُل وتنتهي .
وقد قال بعضُ الصالحين : " إنما الدُنيا زهرةٌ حائلةٌ ونعمةٌ زائلة " إنما الدُنيا زهرةٌ حائلة يعني تحولُ إلى ذوبان وذبول ونعمةٌ زائلة وهذا أمرٌ مُشاهدٌ مهزوز .
(ولا تمُدنّ عينيك إلى ما متعنا بهِ أزواجاً منهم زهرة الحياة الدُنيا لنفتنهُم فيهِ ورزقُ ربك خيرٌ وأبقى)
ولا ريب أن الرزق كُلهُ من الله لكنّ الإضافة هُنا إضافة تشريف والمقصودُ برزق ربك أن الرزق قسمان :
*/ رزقٌ لأهل الكُفر وهو من الله لكن لا يُضافُ إلى الله إضافة تشريف لماذا؟ لأنهُم يشوبونهُ بطرائق مُحرّمة أهلُ الكُفر والفجورِ والمعاصي يشوبون رزقهُم بطرائق مُحرّمة فلا يُنسب إلى ماذا؟ فلا يُنسبُ إلى

محاسن التأويل
الشيخ صالح المغامسي

الله .
*/ وأهلُ الصلاح وفي مُقدّمتهم نبيُنا صلى الله عليهِ وسلم إنّما رزقهُ مُباحاً حلالاً طيبا فلذالك أضَيف إضافة تشريفٍ إلى الله (ورزقُ ربك خيرٌ وأبقى)
فبعد أن طمأن الله جل وعلا نبيهُ على الرزق وأن ما كان لك سيأتيك على ضعفك وما لم يكُن لك لن تنالهُ بقوتك قال لهُ (وأمُر أهلك بالصلاةِ وأصطبر عليها)
والاصطبار حبسُ النفس على شيءٍ مُعين .
ومن أعظم ما يُمكن أن تراهُ عيناك شخصٌ قد أحدودب ظهرُهُ وظهر الشيب في مفرقهِ يتكأُ على عصاه يطوفُ في حيهِ وفي مقّر سكنهِ يأمُر أهلهُ بالصلاة هذا المنظر إذا رأيتهُ يفيءُ إلى ذهنك قول الله جل وعلا عن نبي الله إسماعيل (وكان يأمُر أهلهُ بالصلاة والزكاة)
وقد كان هذا المنظرُ تراهُ كثيراً في الأحياء القديمة وفي المشايخ الكبار سنّاً ولو يكُن شيخ سناً ليس شيخ علم تراه يُذكّر من حولهُ بالصلاة في غدوهِ ورواحهِ وهذا فيهِ دلالة وأمارة على القُرب من الرب تبارك وتعالى .
(وأمُر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) وقولهُ جل وعلا (واصطبر عليها) أن الصلاة تحتاجُ إلى نوعٍ من المُصابرة ولهذا قال الله (وإنّها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين)
نقول (واصطبر عليها لا نسألُك رزقاً) نحنُ نسألُك العبادة كلّفناك بأن تعبُدنا ووعدناك بأن نرزُقك فلا تنشغل بما وعدناك فيهِ عمّا طلبنا منك .
أُعيـــــــــــــد
الله جل وعلا وعد عبادهُ الرزق وطلب منهُم العبادة فلا ينشغلوا بما وعدهم عمّا طلبهُم وإنّما أنشغل بما يُعينك على أخرتك وهي العبادة عمّا تكفّل الله جل وعلا لك بهِ .
ولا يعني هذا أن الإنسان قعيداً في بيتهِ لكن إذا يسعى يسعـــى بقدر وإذا أعطي من الدُنيا لا ينبغي أن تقع في قلبهِ موقعاً مُتأصلاً جداً يُخرجهُ عن طاعة الله جل وعلا .
قال الله جل وعلا :..
(واصطبر عليها لا نسألُك رزقاً نحنُ نرزُقك والعاقبةُ لتقوى)عاقبةُ كُل شيءٍ مآلُه لكنّها تُذكر في كلام الله في الغالب في الخير ومعنى والعاقبةُ لتقوى أي أن التقوى سبيلٌ للعاقبة الحسنة ومعنى قول الله (والعاقبة لتقوى) أي أن التقوى سبيلٌ وطريقٌ للعاقبة الحسنة .
ثُمّ قال الله جل وعلا :
(وقالوا لولا يأتينا بآيةٍ من ربهِ)لولا هنا بمعنى الحظ وليست امتناعٌ بوجود معنى لولا هلاّ وهذا قالهُ الكُفّار عياذاً بالله كأنهُ لم يكفيهم القرآن ولهذا قال الله (أولم يكفيهم أنّا أنزلنا عليك الكتاب) والمقصود أنهم يقولون نُريدُ بيّنة فالله جل وعلا يقول (وقالوا لولا نُزّل عليهِ آيةٌ من ربهِ أولم تأتهم بينةُ ما في الصُحف الأولى)
ما هو الذي فيهِ بينة ما في الصُحف الأولى ؟
القرآن
فالله جل وعلا جعل القرآن مُهيمناً على الكُتب التي سبقت فكُلها أخبرت بنزولهِ والقرآن حوى مُجملها وما دلّت عليهِ وما أرشدت إليهِ وهو المُهيمنُ عليها فإذا لم يكفيهِم القرآن لن يكفيهم شيئاً أبداً وإنما يقولون هذا عنتا بل القرآنُ هو خاتمُ الكُتب السماوية المُنزّلة وهو المُهيمنُ عليها نعتهُ اللهُ جل وعلا بقولهِ (أولم تأتهم بينةُ ما في الصُحف الأولى)
الصُحف الأولى ما سبق من التوراة و الإنجيل والزبور وبينتُها والحجة

المُهيمن عليها هو القرآن .

ثُمّ قال الله
(ولو أنّا أهلكناهُم بعذابٍ من قبلهم لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع ءاياتك من قبل أن نذلّ ونخزى)هذهِ الآيةِ تُبين أن الحُجة في بعث الرُسُل وأنهُ لولا أن الله أرسل الرُسُل وأنزل الكُتب لكان لناس حُجة على الله من ؟ على ربهم ولهذا قطع اللهِ المعاذير وألقم الله جل وعلا الحُججِ ما ألقمها بإرسالهِ لرُسُل وإنزالهِ للكُتب (لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع ءاياتك) ذكر الرُسُل قال الله جل وعلا (من قبل أن نذلّ ونخزى) فطالبوا بالرُسُل قبل أن يقع عليهم الذل والخزي وقد أرسل الله الرُسُل فلم يبقى لهؤلاء القوم أيُ حُجة .
ثُمّ قال الله على لسان نبيهِ يختمُ هذهِ السورة المُباركة (قُل كلٌ مُتربصٌ فتربصوا)والآية من أعظم دلائل التوحيد
لماذا من أعظم دلائل التوحيد؟
فالنبيُ عليهِ الصلاةُ والسلام جعل نفسهُ ومن ءامن معهُ مثل هؤلاء في الانتظار مثل هؤلاء في الانتظار (قُل كلٌ مُتربصٌ فتربصوا) أنا وأنتُم ننتظر ، أنا وأنتُم مُتحفزٌ لنهاية ، أنا وأنتُم مُترقبٌ لما سيكون ولا يترقبُ لما سيكون ويتحفزُ لما سيقع إلا من كان لا يملُك من الأمرِ شيئاً و إلا لو كان يملكُ من الأمر شيئاً لقضاهُ وانتهى لقضاهُ وانتهى .

تدخُلُ داراً أنت ورفقتُك وليس مع أحدٍ منكُم مفتاح فكُلكُم مُشتركون تنتظرون صاحب المفتاح يُدخلكُم ولو كان مع أحدكُم مفتاحا لفتح الباب وانتهى الأمر.
فهذا النبيُ يقول أنا عبدٌ مثلكُم أنا بشرٌ مثلكُم أنا أنتظر كما تنتظرون (قُل كلٌ مُتربصٌ) حتى يبقى الكمال المُطلق لرب جل جلالهُ (قُل كلٌ مُتربصٌ فتربصوا) فإذا انتظرتم وانتظرنا (فستعلمون) يقيناً (من أصحاب الصراط السوي ومن أهتدى)
لا يُفهم أن أصحاب الصراط السوي مُغاير لمن أهتدى الله لا يتكلّم عن فريقين يتكلّمُ عن طريقٍ وسالكيهِ
أُعيـــــــــــــــد
قول الله جل وعلا (فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن أهتدى) لا يتكلّمُ الله جل وعلا عن فريقين إنّما يتكلمُ عن طريقٍ وسالكين لذالك الطريق.
والمعنى :.. أحياناً يُوجد طريق سالك يوجد طريقٌ سالكٌ صحيحٌ مُستقيم ولا يوجد سالكون ولا يوجد سالكون لهُ فالله جل وعلا يقولُ لهؤلاء الكُفّار على لسان نبيهِ ستعلمون الطريق السوي الحقيقي الذي هو طريقُ الإيمان والسالكين لهذا الطريق الحقيقي الذين هم أهلُ الإيمان فمن يُعبّر بها للعاقل وإنّما كُسرت هُنا لالتقاء الساكنين كُسرت هُنا لالتقاء الساكنين .
(ومن اهتدى) كُسرت لالتقاء الساكنين لأن الهمزة التي بعدُها همزة وصل لا تُنطق والهاء ساكنة .
فنعود فنقول الله جل وعلا لا يتحدثُ عن فريقين وإنما يتحدثُ عن طريقٍ ومن سلكهُ .
قد يأتي في الأنفُس وهذا من ربط سور القرآن بعضُها ببعض قد يأتي في النفس الذين يقرأون القرآن متى ينتهي هذا التربُص ، إلى متى هذا الانتظار ، متى سيكون أسئلة ترد (فستعلمون) متى نعلم ، ما لسورة التي بعد طه ؟ ــ أجيبوا ــ الأنبياء .
ما فاتحةُ الأنبياء ؟

(اقترب لناسِ حسابهُم) جواب للأخير هنا ليس ببعيد هذا التربُص ليس ببعيد هذا التحقُّز ولهذا قال الله بعدها في الأنبياء (اقترب لناسِ حسابهُم وهم في غفلةٍ مُعرضون) وهذا من التناسُب مابين ما بين سور القرآن الكريم تناسُب ما بين سور القرآن الكريم .
هذا جُملة ما يُمكن أن يُقال إجمالاً عن هذهِ السورة المُباركة
جُملة الفوائدِ فيها : .
//
أن يُعلم أن القرآن مُعجزٌ في ذاتهِ وهذا الإعجاز ذكرهُ الله جل وعلا هنا تشويقاً في ثلاث مراحل :
ذكرهُ في أول السورة (طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)
وذكرهُ قبل النهايات (وكذالك أنزلناهُ قرآناً عربياً)
وذكرهُ هنا (أولم تأتهم بينةُ ما في الصُحف الأولى)
في الثلاث المواضع ذكر الله جل وعلا القرآن ليُبين رفيع قدرهِ وعظيم شرفهِ وقد قال في نصّ شرف القرآن (وإنّهُ لذكرٌ لك ولقومك) أي لشرفٌ لك ولقومك وسوف تُسألون عنه ِ هذهِ واحدة .
//
ذكر الله جل وعلا في هذهِ السورة إجمالاً خبر كليمهُ موسى ونبيهُ ءادم عليهما الصلاةُ والسلام ولم يذكُر الله في هذهِ السورة قصّة أحدٍ من الأنبياء غيرِ موسى وغيرِ ءادم والعجيب أنهُ ليس في القرآن سورة اسمُها سورة موسى رغم أن موسى عليهِ السلام ذُكر في أكثر من موضع وهذا إن صحّ التعبير يدخُل في ما قُلناه سابقاً إن الله جل وعلا لا يُعطي أحدٍ كُل شيء إنما ذكر يونس لأنهُ عاتبهُ عتاباً شديداً فسُمّيت سورة باسم يونس [واضح] ،،
ذُكر موسى كثيراً في القرآن لكن لم تُسمّى سورة باسمهِ عليهِ السلام ،، سُمّي نبيُنا صلى الله علية وسلم سميت سورة باسمه سورة مُحمد تُسمّى أحياناً سورة القتال لكن هذا يجعلك إذا قُلنا تسمية القرآن طبعاً هل تسمية توقيفية مبنية على فعل النبي صلى الله علية وسلم فهي مبنيةُ يعني على أمر اللهِ من حيث الجُملة لكن عموماً ثمّة ملحوظات يقعُ عليها المرء تُبين كيف أن الله جل وعلا يُوازن بين عبادهِ والله يقول (ولو بسط الله لعبادهِ في الرزق لبغوا في الأرض)
والمقصود أن حتى الناس لو تأملتهُم تجد من أُعطي عافية ومال يُحرم من أشياء أخر قد لا تظهرُ لك ، ومن أُعطي قلّة قد يُعطى أولاد وقد يوجد أحدٌ عندهُ أموال يتمنى الولد ن وقد يُوجد مُبتلىً لكنّهُ يُعطى أمور أُخر غير التي فيها بلاءُهُ وقلّما ترى عبد إلا وفيهِ أثر نعمة وأثر ابتلاء لا نقول نقمة يبتليهِ اللهِ جل وعلا بها فإن لم يُحسنِ التعامُل مع ذالك الابتلاء انقلب نقمة وإن أحسن التعامُل انقلب إلى عافية ورفع درجات . لكن من العبد الخالص الذي أرادهُ الله الذي يستحق أن يفوز بجائزة (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) هو من كان قلبُهُ بصرف النظر عن مالهِ وولدهِ
ومسكنهِ وجاهِ وعلّمهِ من كان قلبهُ مُعظّماً للهِ من كان قلبهُ مُعلّقاً باللهِ لا يوجد احدٌ حي ما يملك قلب يتفاوت الناس في المال في الولد في العلمِ في الطول في القصر لكن لا يوجد حد حي لا يملكُ قلباً .
نُريدُ من كُل من يُشاهدُنا ويسمعُنا ويقرأُ دُروسنا ونحنُ في المقام الأول يعني نتعظ في أن الغاية من خلقنا أن تعترف قلوبنا بخالقها وتذعن لهُ وتعبدهُ وحدُه { ألا وإنّ في الجسد مُضغة إذا صلُحت صلُح الجسدُ كُله }
(يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم)
فلا يوجدُ أحدٌ ساد وعندهُ ما ليس عندك عندهُ قلب وعنكَ قلب وهو مقام التحاكُم وموطنُ العبادةِ وإليهِ يعني هو موضع محبةُ الله وبُغضُهُ عند أهل

محاسن التأويل

الشيخ صالح المغامسي

الكُفر وطاعتهُ ومعصيتهُ عند العُصاة فكلُ الأمور مُعلّقة بمدى اتصال الخلق بالخالق وما الجوارح إلا شواهد ودلائل وقرائن على مدى اتصال القلب بالخالق .

علّمنا الله وإياكُم بما علّمنا ونفعنا الله وإياكُم ما ينفعُنا وصلى الله على مُحمدٍ وعلى آلهِ وأرجوا أن يكون فيما قُلناه في سورة طه نفعاً لمن سمعنا وشاهدنا أســــــــــــــــــأل الله لنا ولكُم التوفيق وصلى الله على مُحمدٍ وعلى آلهِ والحمدُ للهِ رب العالمين ....